سويسرا البلاد التي لا يخبو فيها السحر...

مهما تبدلت الفصول والعصور

سويسرا. ارتبط اسم هذه البلاد التي تغفو في أحضان جبال الألب بأسلوب الحياة الفاخرة وسرية المصارف والساعات الجميلة ورياضة التزلج والبحيرات... ففي سويسرا كل شيء يسير على الالتزام بدقائق الزمن وثوانيه، فتبدو الساعات المعلّقة في كل ركن من محطّات قطارات مدنها ومطاراتها صورة لمقولة «سباق مع الزمن». إنه الوقت، إنه الوقت.

كران مونتانا بلدة سويسرية المغامرات فيها تسابق الوقت

كران مونتانا. بلدة تستريح عند أقدام الجبال السويسرية في طبيعة تفيض بالمشاهد الخلابة اختلط فيها الأخضر والأبيض حيث تندس بينهما بيوت تتدفأ بشمس تنشر خيوطها الذهبية بلا تحفّظ خلال الربيع.
هنا هندسة البيوت سويسرية بامتياز تعكس روح جبال الألب والرغبة القوية في الشعور بالدفء .في هذه البلدة تعتبر رياضة ديرت مانستر بايك Bike Dirt Monster من أجمل المغامرات التي يقوم بها زائر البلدة خلال فصل الربيع، وهي عبارة عن ركوب Scooter ذات حجم كبير.

تنطلق بها نحو الغابة غير آبه بخطر الانزلاق ولا بالمنحدرات القوية، فالشعور بالنسمات الباردة لجبال الألب المتمازجة برائحة التراب الرطب والغوص في غابة يخترق ضياء الشمس كثافة أشجارها متعة من نوع آخر تولّد فيك التحدي والقدرة على التحكم بمسارك مهما كان المنحدر خطيراً.
اللافت في هذه الرياضة أنك تخسر الكثير من الوحدات الحرارية من دون أن تبذل أي مجهود سوى أنه عليك معرفة التحكم في المكابح الموجودة على المقود.
وكم جميل أن تتنقل بواسطة القطار السلكي الجبلي Funiculaire لاكتشاف سحر كران مونتانا. أو ممارسة نوردِك ووك Nordic walk وهي عبارة عن رياضة مشي ترتكز على الإمساك بعصايين يساعدان على تحريك جميع عضلات الجسم مما يخفف من احتمال تقلص إحداها، إضافة إلى عدم الشعور بالتعب رغم المسافة الطويلة التي قد تسيرها.

زوريخ مدينة تحضن تاريخًا يحكي قصص عصر النهضةبكل بهائه

زوريخ أكبر مدن سويسرا، يخترقها نهر ليمات النابع من بحيرة زوريخ. تعتبر زوريخ العاصمة الاقتصادية والمالية لسويسرا، فهي تحتوي غالبية المؤسسات المالية الكبرى.

فهنا الأبنية القديمة التي شيّدت على نمط الهندسة المعمارية لعصر النهضة تترصد بصمت غريب خطوات من يزورها فيحار من أين يبدأ في اكتشاف معالمها.
إنها مدينة تستريح على ضفتي نهر ليمات الذي ينساب برخاء فتتمايل على صفحات مائه وجوه زوريخ التي تتبدل بتبدّل الليل والنهار. فيتحول نهارًا إلى لوحة مائية تتباهى بفخامة الأبنية التي يتراكم فيها التاريخ المتآمر مع زركشة الطبيعة الخلابة، وتتراقص مساء الأنوار على وقع هدير خجول لحافلات الركاب التي تتسلل بواسطة شبكة مواصلات عنكوبتية جيئة وإياباً إلى شوارع ضيّقة. فرغم حلول المساء تجد زحمة ناس يتوارون في الشوارع الضيّقة حيث توجد المقاهي والملاهي الليلية.

مونترو فوفيه ملهمة المشاهير: هنا وُلدت شخصية فرانكشتاين، وألّف تشايكوفسكي أروع السمفونيات

مونترو فوفيه المدينة السويسرية التي فضّلها تشارلي شابلن، الممثل الكوميدي الإنكليزي الذي أضحك العالم في زمن السينما الصامتة، على مدينته لندن واختار العيش فيها بقية حياته، بعدما ألغى السيناتور الأميركي جوزيف ماك كارثي تأشيرة دخوله إلى الأراضي الأميركية بسبب ميوله اليسارية.

ها هو اليوم يرقد وزوجته بسلام في كورسييه سور فوفيه. بعدما أنهى كتابة سيرته الذاتية في كلمات قال فيها:" ها أنا اليوم أراقب من بعيد مروجاً خضراء رحبة وبحيرة تحيطها جبال حضورها يمنحني الطمأنينة. سأبقى هنا، من دون أن أفكّر في أي شيء، بل جل ما أريده التلذذ بالمعنى الرائع للسلام".

أما بحيرة ليمان التي تحضنها الجبال وتنتشر على ضفافها البيوت، فكانت مصدر إلهام الكاتبة الإنكليزية ماري تشيلي صاحبة رواية فرانكنشتاين عندما زارت فوفيه عام 1816.

الوقوف على إحدى ضفتي البحيرة يثير فيك سؤال ما الذي كانت تفكر فيه هذه الكاتبة التي أثارت روايتها مخيلة المخرجين السينمائيين. وهل يمكن أن يرى الإنسان كابوساً أثناء وجوده في مكان ساحر كهذا حتى يكتب رواية مخيفة؟ ربما كانت تشيللي تبحث عما يخفيه الجمال من رهبة!

عند جادة البحيرة العريضة تتجاور المحلات التجارية ومقاهي الرصيف.

واللافت أن الأسعار مرضية تناسب جميع الميزانيات فهناك المتاجر التي تبيع بسعر الجملة تجاور البوتيكات التي تعرض لأرقى دور الأزياء العالمية.

على الرصيف الممتد على ضفة البحيرة أطفال يلعبون ومسنون يتشمسون، وبسطات ممتدة على طول الرصيف خلال أيام الجمعة.

فتكتشف وجهاً آخر لمونترو، فهنا بائع مغربي يبسط البهارات والتوابل التي جلبها من بلاد الهند، وتتدلى العبايات والفساتين فوق بسطة جاره الصيني، وتقابله بسطة سيدة تعرض الحلي المشغولة يدوياً ويقف وسط الزحام مجسم المغني البريطاني الراحل في فرقة كوين فريدي مركوري.

أما سبب وجود مجسم لمغنٍ إنكليزي في مدينة سويسرية فهو إن مركوري أحب هذه المدينة إلى درجة أنه اشترى منزلاً فيها يشرف على البحيرة وأمضى آخر أيامه في مونترو.

وكما قال مركوري: «إذا أردت أن تجد السلام فاذهب إلى مونترو».

شامبيري Champery وتسيرمات Zermatt في سويسرا

تستقبل الشتاء على طريقتها

على الرغم من أن الشتاء هو فصل العمل بكل أشكاله ومجالاته، فإن البعض يفكّر في كسر جليد الروتين اليومي الذي يصيبه في أطول فصول السنة. فيحلم بإجازة في مدينة يغمرها الثلج ليمارس هواية التزلج إذا كان يتقنها، أو ممارسة أي رياضة شتوية لا تتطلب مهارة، وبعضهم يفضّل بكل بساطة أن يجلس أمام المدفأة ويراقب من نافذة الفندق تساقط الثلج، بعيدًا عن صخب الحياة اليومية. وفي العالم مدن وبلدات تستقبل الشتاء على طريقتها فترتدي ثوب الثلج بكل فخر لتستقبل زائريها بالأبيض فتبعث فيهم روح التفاؤل ليعيشوا أيامًا جميلة لا يمكن لسحب الشتاء الرمادية أن تمحوها من ألبوم ذكرياتهم.

على بعد 90 دقيقة من جنيف تستقبل شامبري بسحرها الريفي السويسري هواة التزلج فتدخلهم عبر منطقة بوابة الشمس إلى مغامرة فريدة حيث يوجد 90 مركزًا للتزلج. تحيط البلدة سبع قمم جبلية مهيبة تعرف بأسنان الظهيرة Les Dents du Midi وتبدو كأنها تتأمل من يزور البلدة وتتلاعب بقلوب المتزلجين فتغريهم بالصعود إليها واختبار مغامرة الرقص على منحدراتها، فيصلون إلى وسط البلدة حيث الشالهيات الشتوية تستقبلهم بدفء، وتسحرهم واجهات المتاجر بأناقتها المنتشرة في شوارعها الضيقة.

أما تسيرمات Zermat فبلدة سويسرية تقبع عند أقدام جبال ماترن هورن. رغم كل الوسائل العصرية المتوافرة من إنترنت وأقمار صناعية وغير ذلك من سبل الراحة الموجودة فيها، بقيت تسيرمات محافظة على طبيعتها الخلابة وتخشى عليها من التلوّث. ولا عجب في أن يكون معظم سكانها رشيقي القوام.

تخيّل نفسك تركب دراجة هوائية على طريق مثلّجة. هنا لا سيارة تسير على البنزين، ولا يوجد محطة بنزين كما المدن العصرية، بل وسائل تنقّل سكان البلدة إما الدراجة الهوائية أو عربة الخيل أو التاكسي الكهربائي أما في ما يخص مراكز التزلج فعلى زائر تسيرمات الاستيقاظ باكرًا كي يستطيع أن يجد مكانًا في التلفريك الذي ينقله إلى أعلى قمة ماترن هورن حيث توجد مغارة الثلج التي تحوّلت متحفًا فريدًا كل شيء معروض فيه من الثلج.

وبعد الجولة في المتحف عليه الاختيار إما النزول تزلجًا أو العودة بالتلفريك والتوقف في إحدى المحطّات الأقل ارتفاعًا وإكمال العودة سيرًا على القدمين عبر الدروب الثلجية. أما محبّو التسوّق فيجدون ملاذهم في وسط البلدة حيث تتجاور المتاجر التي تعرض لأهم دور الأزياء وبالطبع متاجر الساعات السويسرية بكل أناقتها ودقتها.

كيرونا Kiruna في السويد

تستقبل الشتاء على طريقتها

على الرغم من أن الشتاء هو فصل العمل بكل أشكاله ومجالاته، فإن البعض يفكّر في كسر جليد الروتين اليومي الذي يصيبه في أطول فصول السنة. فيحلم بإجازة في مدينة يغمرها الثلج ليمارس هواية التزلج إذا كان يتقنها، أو ممارسة أي رياضة شتوية لا تتطلب مهارة، وبعضهم يفضّل بكل بساطة أن يجلس أمام المدفأة ويراقب من نافذة الفندق تساقط الثلج، بعيدًا عن صخب الحياة اليومية. وفي العالم مدن وبلدات تستقبل الشتاء على طريقتها فترتدي ثوب الثلج بكل فخر لتستقبل زائريها بالأبيض فتبعث فيهم روح التفاؤل ليعيشوا أيامًا جميلة لا يمكن لسحب الشتاء الرمادية أن تمحوها من ألبوم ذكرياتهم.

عند شمال السويد وفي أدنى القطب الشمالي تستقبل كيرونا بطولة كأس العالم في التزلج الأفقي، وينتهي موسم الشتاء في شهر نيسان/ أبريل بانتهاء ألعاب التزلج في المدينة. وبعد يوم طويل على المنحدرات الثلجية يبدو المبيت في فندق الجليد الموجود في بلدة يوكاسيرفي Jukkasjarvi جارة كورنا التي تبعد عنها 12 كيلومترًا مغامرة فريدة. تخيّل نفسك تنام وسط الجليد! إنها طريقة جيدة لكسر الجليد بمساعدة السويديين. www.icehotel.com و

أورتيساي Ortisei وكناتزي Canazei في إيطاليا

مدن في العالم تستقبل الشتاء على طريقتها

على الرغم من أن الشتاء هو فصل العمل بكل أشكاله ومجالاته، فإن البعض يفكّر في كسر جليد الروتين اليومي الذي يصيبه في أطول فصول السنة. فيحلم بإجازة في مدينة يغمرها الثلج ليمارس هواية التزلج إذا كان يتقنها، أو ممارسة أي رياضة شتوية لا تتطلب مهارة، وبعضهم يفضّل بكل بساطة أن يجلس أمام المدفأة ويراقب من نافذة الفندق تساقط الثلج، بعيدًا عن صخب الحياة اليومية. وفي العالم مدن وبلدات تستقبل الشتاء على طريقتها فترتدي ثوب الثلج بكل فخر لتستقبل زائريها بالأبيض فتبعث فيهم روح التفاؤل ليعيشوا أيامًا جميلة لا يمكن لسحب الشتاء الرمادية أن تمحوها من ألبوم ذكرياتهم.

إذا كانت إيطاليا تبهرك بفن عصر النهضة إلى حد الخدر، وتغريك أناقة أزيائها إلى حد الشره في التسوّق، فإن بلدات ومدن التزلج فيها تجعلك تعيش مغامرة إيطالية أنيقة. ففي وادي غيردينا Gherdeina حيث جبال الدولوميت(صخور غنية بكربونات طبيعية مزدوجة من الكلس والمغنيسيوم) المهيبة، تختبئ مدينة أورتيسي ortisei بين جبال راشويتز Rashoetz وجبال الألب الحرجية السويسرية. يحتفظ المركز التاريخي للأورتيسي بروائع فن عصر النهضة ليبهر السياح فيتيهون وسط عالم جميل ويختبرون متعة التسوّق وسط الطبيعة الإيطالية، فيما يأخذهم حي بولا Bulla إلى عالم من الاسترخاء والسلام.
www.skivalgardena.com

في قلب جبال الدولوميت، تنبثق كاناتزي canazei ملاذ رياضة التزلج حيث ينتقل الهواة وسط طبيعة خلابة عبر مقصورة المصعد الثلجي التي تترك لنسائم الألب الباردة تتلاعب بها لتحملها إلى منصة سيللا روندا Sella Ronda الرائعة.

فيعيش هواة التزلج مغامرة فريدة من نوعها لا تنتهي عند إغلاق ساحات التزلج وإسدال الليل ستارته، بل تبهرهم كاناتزي بوجهها الآخر حيث تكشف عن حياتها الليلية المزركشة بالأنوار الفضية المنبثقة من الأندية الليلية والمقاهي، فتبدو المتعة الإجازة في هذه البلدة لا حدود زمنية لها.
www.fassa.com و www.skicanazei.com/hotels.php

كرانيسكا غورا Kranjska Gora في سلوفينيا

تستقبل الشتاء على طريقتها

على الرغم من أن الشتاء هو فصل العمل بكل أشكاله ومجالاته، فإن البعض يفكّر في كسر جليد الروتين اليومي الذي يصيبه في أطول فصول السنة. فيحلم بإجازة في مدينة يغمرها الثلج ليمارس هواية التزلج إذا كان يتقنها، أو ممارسة أي رياضة شتوية لا تتطلب مهارة، وبعضهم يفضّل بكل بساطة أن يجلس أمام المدفأة ويراقب من نافذة الفندق تساقط الثلج، بعيدًا عن صخب الحياة اليومية. وفي العالم مدن وبلدات تستقبل الشتاء على طريقتها فترتدي ثوب الثلج بكل فخر لتستقبل زائريها بالأبيض فتبعث فيهم روح التفاؤل ليعيشوا أيامًا جميلة لا يمكن لسحب الشتاء الرمادية أن تمحوها من ألبوم ذكرياتهم.

مختبئة في جبال الألب البولسيية وبالقرب من الحدود الإيطالية والنمساوية تقع كرانيسكا غورا البلدة الأهم في وادي زغورجيسافسكا المكان الذي تقام فيه مباراة كأس العالم للتزلج الألبي. هنا يجتمع كل عام أفضل محترفي التزلج في بلانيكا حيث جرت أول قفزة بلوح التزلج في العالم، ليشاهدوا من الذي يطير على أعلي ارتفاع في بطولة العالم للقفز على الجليد، مما يجعل السفر إلى كرانيسكا مغامرة فريدة تجعل الذاكرة تحلّق في عالم أفقه الأبيض والأزرق. للإستعلام www.kranjska-gora.si www.info@kranjska-gora.eu www.slovenia.info

أوبرتورن Obertauern وإنسبروك Innsbruck في النمسا

مدن في العالم تستقبل الشتاء على طريقتها

على الرغم من أن الشتاء هو فصل العمل بكل أشكاله ومجالاته، فإن البعض يفكّر في كسر جليد الروتين اليومي الذي يصيبه في أطول فصول السنة. فيحلم بإجازة في مدينة يغمرها الثلج ليمارس هواية التزلج إذا كان يتقنها، أو ممارسة أي رياضة شتوية لا تتطلب مهارة، وبعضهم يفضّل بكل بساطة أن يجلس أمام المدفأة ويراقب من نافذة الفندق تساقط الثلج، بعيدًا عن صخب الحياة اليومية. وفي العالم مدن وبلدات تستقبل الشتاء على طريقتها فترتدي ثوب الثلج بكل فخر لتستقبل زائريها بالأبيض فتبعث فيهم روح التفاؤل ليعيشوا أيامًا جميلة لا يمكن لسحب الشتاء الرمادية أن تمحوها من ألبوم ذكرياتهم.

في جبال الألب النمساوية تقع اوبرتورن ملاذ هواة التزلج وتقسم إلى مجالين. تووينغ و أونبرتورن. وعلى هاوي التزلج تجربة نزهة تورن التي تسمح للمتزلجين من كل المستويات بالقيام باختيار منصة التزلج التي تناسبهم، بفضل موقع مصعد التزلج الذي يدور حول القرية المركزية. وتعبر أوبرتورن أحد أكبر مواقع التزلج في النمسا، وتفخر بمدارس التزلج فيها والمشاهد الخلابة.
تعتبر إنسبروك ملاذ الذين يأتون من أجل رياضة التزلج ذات المواصفات العالمية فهي دار التزلج الأقدم والأكثر فخامة في أوروبا.

تتضمن أكثر من 200 منصة تزلج طوال فصل الشتاء، ومعروفة بالمهرجانات الترفيهية ووفرة الأحداث الخاصة.و بلدة إنسبروك Innsbruck عاصمة المنطقة الألبية الرائعة لـ تيرول Tyrol ومعقل تاريخ جبال الألب النمساوية، مما جعلها الوجهة السياحية الأكثر جذبًا في النمسا.

فالتجوال في شوارعها التي لا عمر محددًا لها والمحاطة بالأبنية المحافظ عليها بشكل رائع تعتبر متعة تفوق التراقص على المنحدرات الثلجية في الهواء النقي. ففي الوسط البلدي القديم تحتشد مواقع تاريخية مثل السقف الذهبي وكاتدرائية سانت جيمس التي تعكس سحر القرون الوسطى، تجاورها بوتيكات تعرض للأعمال الفنية، ومتاحف ومقاهٍ وبوتيكات تعرض لأهم دور الأزياء العالمية.

تحيط هذا الجمال التاريخي جبال الألب المهيبة مما يجعل المشهد الخلفي للمدينة صورة لا يمكن للذاكرة أن تلغيها. www.innsbrucktours.at و www.innsbruck.info

لا بلاني La Plagne في فرنسا

مدينة في تستقبل الشتاء على طريقتها

على الرغم من أن الشتاء هو فصل العمل بكل أشكاله ومجالاته، فإن البعض يفكّر في كسر جليد الروتين اليومي الذي يصيبه في أطول فصول السنة. فيحلم بإجازة في مدينة يغمرها الثلج ليمارس هواية التزلج إذا كان يتقنها، أو ممارسة أي رياضة شتوية لا تتطلب مهارة، وبعضهم يفضّل بكل بساطة أن يجلس أمام المدفأة ويراقب من نافذة الفندق تساقط الثلج، بعيدًا عن صخب الحياة اليومية. وفي العالم مدن وبلدات تستقبل الشتاء على طريقتها فترتدي ثوب الثلج بكل فخر لتستقبل زائريها بالأبيض فتبعث فيهم روح التفاؤل ليعيشوا أيامًا جميلة لا يمكن لسحب الشتاء الرمادية أن تمحوها من ألبوم ذكرياتهم.

في مواجهة جبال القمة البيضاء مون بلان Mont blanc ومنحدرات بوفورتين Beaufortain، تقع لا بلاني فردوس التزلج الفرنسي. حيث يجد هواة تحدي المنحدرات الثلجية ملاذهم في ممارسة شغفهم الرياضي إما على زلاجات الانحدار bobsleigh أو الراكيت أو التزحلق على الجليد أو الشروع في مغامرة التحليق في الفضاء الأزرق فوق أمواج الثلوج بمظلة المنحدرات Parapente. وتتصل محطات التزلج الموجودة في أسفل الوادي بنظام مواصلات مجاني يسمح للمسافرين بالاستفادة من محطات من دون سيارة

أما الذين يريدون منصات تزلج هادئة وواسعة ويخشون الاصطدام بهواة التزلج المحترفين، ففي إمكانهم التوجه إلى منصات السيرينيتيه Sérénité الواقعة مقابل القمة البيضاء ومنحدرات بوفورتين المهيبة. أما الذين لا يعرفون التزلج ففي إمكانهم التعرف إلى الأعمال الحرفية، والزيارات السياحية، والتجوال في دروب ثلجية سيرًا على الأقدام. للاستعلام:
infos@la-plagne.com ، للحجز reservation@la-plagne.com

روما... المدينة العظيمة
التي لا يمكن اختصارها

روما، هذه المدينة العظيمة التي لا يمكن أن تسقط سهوًا من سطور التاريخ المكتوب، لأنها عرفت كيف تحفر في متون صفحاته وحواشيها حضارات قديمة تراكمت فيها بكل بهاء، بعضها لم تستطع عوامل الجغرافيا رغم قسوتها أن تلتهمها وأخرى بقي منها أطلال تذكّر . فلا عجب أن يعشقها إمبراطورها الشاب نيرون عشقًا ساديًا حين راح يتأملها تحترق وهو يعزف القيثارة أثناء اصطيافه في بلدته أنتيوم، بحسب الروايات التاريخية.

روما اليوم مدينة عصرية حيث الفن وفن الحياة فيها وجهان لمدينة واحدة. هنا تحتشد المعالم التاريخية في كل زاوية وفي كل رواق وربما في أحشاء الأرض، لتبدو متحفاً يتجاور فيه فن الحياة والروائع الفنية بحرية تاركة العنان للمتجوّل يتنعّم بسحر أمجاد روما عاصمة العالم القديم من دون قيد وشرط، فتنهال أمام ناظريه كل أنماط الفن الذي حضنته هذه المدينة، ليجد نفسه وسط مصارعة رومانية صامتة وجميلة تتنافس فيها معالم روما عاصمة الإمبراطورية الرومانية مع معالم روما العصر الوسيط وفنون روما عصر النهضة بكل أبهة، فيحار من أين يبدأ، فكل الدروب تؤدي إلى روما، وما عليه إلا أن يعيش معنى الدولتشي فيتا.

الفوروم الروماني وهضبة بالاتين
كان الفوروم أو الميدان الروماني مركز روما القديمة التجاري والسياسي والديني، وكانت تقام فيه التجمّعات الجماهيرية واجتماعات مجلس الأعيان «السينا

استغرق تشييده 900 سنة، وبعد قيام الإمبراطورية الرومانية، بنى قياصرة روما معالم تعكس عظمتهم. رافق هذا الميدان انحدار العصر الروماني عند بداية القرن الرابع، لتسقط معابده ومعالمه تباعاً وتصبح أطلالاً حوّلتها عصور الظلام إلى مرعى للأبقار، ليأتي عصر النهضة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر وينبش في أحشاء أرضه ليعيد إلى النور أمجاد حضارة اندثرت.
ويقود عبور فيا داي فوري إمبريالي إلى الكوليزيه الذي يعرف أيضاً باسم مسرح فلافيين. هنا الوقوف عند أحد مدرجّات المسرح يدخل الزائر في لعبة التاريخ الساكن فيه ويتخيّل جمهوراً محتشدًا يعلو هتافه كلما سقط مصارع روماني في أرض الحلبة، وقام آخر، وقيصر وحاشيته ينظرون إليهما بعيون باردة وهما ينزفان ثمن حريتهما. والخروج من المسرح وخيالاته يعني الانقياد إلى كواليس التاريخ، حيث قوس سبتيموس سفيروس معبد زحل، وقصر فيستال، ومعبد أنطونيو وفوستين وقوس تيتوس تنتظر دورها في تقديم عرض يسحر من يتجوّل بين أروقتها.
وفي ساحة نافونا يسكن سحر آخر حيث تتجاور قصور شيدت على نمط الفن الباروكي. تضم الساحة ثلاثة ينابيع تعكس إبداع فناني عصر النهضة يتوسّطها نبع الأنهر للفنان بيرنين ويضم أربعة مجسّمات تمثل نهر الغانج ونهر النيل ونهر الدانوب ونهر ريو دو لا بلاتا، تعلوها مسلّة مصرية. وتعتبر نافونا مكان تجمّع سكان روما وزوّارها حيث تفوح من مقاهي الرصيف التي تتحلّق حولها رائحة القهوة الإيطالية بكل أنواعها ممتزجة بروائح البيتزا والباستا.

ويثير في الزائر مشهد الرواد الذين انهمك بعضهم بارتشاف الكابوتشينو، وبعضهم الآخر بالتهام ما لذ وطاب من المطبخ، رغبة الجلوس في أحد المقاهي ليعيش تجربة إيطالية بكل حواسه. ينظر إلى لائحة الطعام الطويلة التي تتضمن معظمها أطباقًا أسماؤها أليفة بالنسبة إلى من يزور روما، مهما كانت جنسيته.
فالمطاعم الإيطالية منتشرة في كل أنحاء العالم، إنها عولمة مطبخ الكرة الأرضية!
التجوال في أحضان روما متعة تختصرها قصر المسافات بين روائعها. من بياتزا دي اسبانيا، يمكن الزائر صعود سلم ترينيته ديه مونتيه الذي يعود تاريخه إلى العام 1725 فتقوده درجاته إلى كنيسة تحمل اسمه، ثم تدحرجه إلى فيا ديه كوندوتي فردوس الأناقة الإيطالية التي تعرضها واجهات البوتيكات بأسلوب يعكس شغف أهل روما بالجمال الذي قد يؤثر فيّ الزائر وينسيه أنه من المفروض ألا يتتبعه ويصرف نقوده.

في شارع رقم 86 يقع مقهى غريغو أقدم مقاهي هذا الشارع الذي نال شهرته بسبب الممثلين مارتشيللو ماستروياني وأنيتا أكبرغ في فيلم «لا دولتشي فيتا» الذي أخرجه فيدريكو فيلليني عام 1960. لا يمكن لمن يمرّ بالقرب من هذا المقهى إلا أن يعيش مغامرة إيطالية على الطريقة الهوليوودية، فيجلس فيه ليرتشف القهوة ويستمتع بمشهد نبع تريفي والمياه تتدفق من التحف الفنية المنحوتة عليه، والناس من حوله يرمون بالنقود المعدنية، كي يرجعوا إلى هذه المدينة. فكأن الأساطير المحفورة في اللا وعي الإنساني الثقافي تنقض كل موازين منطق العقل وتجعل الواحد منا يتمنى صدقها كي تتحقق رغباته الدفينة

في هضبة بالاتين مهد الأسطورة الرومانية تقف أطلال قصر نيرون، حيث وقف يتأمل احتراق روما. جمال قابع وسط سبع هضاب، يخترقها نهر التيبر الذي يشطرها شطرين تجمعهما ستة جسور أشهرها جسر سانت إنجيل. سحرت هذه الهضبة أثرياء روما فبنوا عليها القصور فقلّدهم لاحقاً قياصرة روما. أمضى أوغسطين حياته في هذه الهضبة، ويبدو قصره وقصر زوجته ليفي متواضعين بالنسبة إلى من جاء بعده خصوصاً دوموس فلافيا ودوموس أوغوستينا. ولم يبق من مسرح سيركوس ماكسيموس سوى أطلال خجولة، كان يقف عليها 200 ألف متفرّج. إنه الزمن الذي يلغي حضارة ليسمح بولادة أخرى.
وسط قلب المدينة التاريخي وبين ساحة نافونا ونبع تريفي يقف معبد بانتيون، واحد من أروع المعالم الموجودة في روما. بناه الإمبراطور أدريان بين عامي 118 و125 على أطلال معبد قديم بناه الإمبراطور آغريبا. وثبات المعبد على دوام حاله بكل أبهة يعود إلى الإمبراطور البيزنطي فوكاس الذي أعطاه للبابا بونيفاسي الرابع الذي حوّل كنيسة عام 609 مما أنقذه من الدمار. يتألف معبد بانتيون من سقف يبلغ عرضه 33 مترًا يقوم على ستة عشر عمودًا مرصوصة بالرخام. نُقش على بوابته الرئيسية إهداء إلى آغريبا.ويمثل بانتيون بقبته الهائلة نموذج الفن المعماري للفترة اللاحقة من روما القديمة.
ويتميّز بسقف من البرونز المذهّب. في داخل المعبد يرتاح رسام عصر النهضة رافاييل وملك إيطاليا فيكتور إيمانويل الثاني.

وإذا أخذ زائر المعبد في الاعتبار الآثار النادرة لحمامات ديوكليتيين Diocletien، فإنه قد لا يمكن لمخيّلته أن تدرك أن هذا المجمع الكبير الممتد على مساحة 13 هكتارًا مؤلف من حمامات، ومكتبات وصالونات وحدائق يمكنها أن تستقبل 3000 شخص. فحمامات كركلا تستقبل 1600 شخص، فضلاً عن أنها لا تزال تحتفظ بقسم كبير من شكلها الأساسي. وليس بعيدًا عن فيا أبيا يقع ممر روماني يعود إلى ألفي سنة يربط روما ببريندیسي، وتحديدًا سيرك ماكسنسيه Maxence ومدافن أبطال قوميين رومان مثل قبر سيسيليا متيللا.

الكابيتول
تحضن هضبة الكابيتول إبداع فنان عصر النهضة مايكل أنجلو المستريح منذ عام 1538 في ساحة دل كامبيدوغليو del Campidoglio المحاطة بثلاثة قصور هي: كونسيرفاتوري Conservatori و بالازو نووفو Palazzo Nuovo وبالازو دي سيناترو Senatro Palazzo dei. يضم القصران الأولان متاحف الكابيتول حيث يحوز الزائر متعة النظر إلى مجسّمات برونزية لذئاب رومانية يقال إنها أرضعت رومولوس وريموس. ورومولوس أسس مدينة روما 753 قبل الميلاد. وتقول الأسطورة إن رومولوس وريموس هما ولدا ريا سيلفيا ابنة نوميتور ملك ألبا مدينة الأسطورة اللاتينية، ويقال إن شقيقها أموليوس سلبها التاج وخشي أن يسترده ولداها حين يكبرا فما كان منه إلا أن وضعهما، وهما رضيعان، في سلة قش ورماهما في نهر التيبر.

وبحسب الأسطورة أنهما نَجَوا بأعجوبة وأن ذئبة وجدتهما فحنت عليهما وأخذتهما إلى الغار التي كانت تعيش فيها وأرضعتهما وحين شبّ الولدان عرفا سر ولادتهما وعادا وقتلا خالهما وأعادا التاج إلى جدّهما. أما من يريد أن يخوض مغامرة تاريخية وفنية في آن واحد، فما عليه سوى أن يسلك كوردوناتا Cordonata، وهو سلّم أثري صممه مايكل أنجلو، يحرسه في القمة مجسمان ضخمان لكاستور وبولوكس.

هكذا هي روما كما غيرها من مدن إيطاليا، تاريخ محتشد بكل أبهة وترف، يرتوي من ينابيع ذات أشكال فنية ومعالم باهرة تتناثر في أرجائها كأنها شخوص تراقب حركة سكان العصر الحديث، فتعرف الوقت الذي تتحرك

فيه روما وتعرف كيف تهمس إلى من يزورها بأسرارها المرمّزة وكأنها تريده أن يعود ليحلّ ألغازها التي لا تنتهي إلا بنهاية التاريخ.

إسبانيا البلاد التي تلهب مدنها ذكريات عالم أندلسي

متشبثة بفسيفساء من الحضارات والجمال الطبيعي

إسبانيا. المملكة التي تسكن في صفحات تاريخها ذكريات أندلس العرب. تتمايل بموسيقاها وألوانها وترنم موشحًا أندلسيًا لـ لسان الدين بن الخطيب: «جادك الغيث إذا الغيث همى يـا زمـان الـوصل بالأندلـس لـم يـكـن وصلك إلا حـلـمـا في الكرى أو خلسة المختلس».

وإسبانيا اليوم أندلس الماضي، تتقد فرحًا من جذوة السعادة بعدما رقص فريقها في كرة القدم رقصة فلامنكو انتهت بتسجيل هدف تاريخي لينال كأس العالم في بطولة كرة القدم 2010 ، فلم يكن حلمًا في الكرى، أو خلسة، بل كرة عانقت الشباك فتعالت في فضاءات مدنها قهقهات صنوج خشب تلاعبت بها أنامل سمراء إسبانية أنهت رقصتها بصيحة فخر «أوللیه»!
و«أوللیه» النصر الأسبانية وصلت أصداؤها إلى البرتغال التي تحدّها من الغرب، وفرنسا وأندورا اللتين تحدانها من الشمال الشرقي، لتحلّق فوق بحري الأبيض المتوسط والبالیار من الشرق والجنوب حيث تسبح جزر البليار، والمحيط الأطلسي من الشمال فتبدو جزر الكناري التابعة لأسبانيا مجموعة حوريات يتبادلن أطراف حديث تستقطعه ثرثرة مياه فيروزية لا تخشى الذوبان في شطآن لؤلؤية.
ومدن أسبانيا لا تمل نسج حكايات أسرار الأندلس، بل تنثرها تارة وتدسها بين أروقة التاريخ تارة أخرى. وكأني بها متشبثة بفسيفساء من الحضارات والجمال الطبيعي.

فتبدو باسكية الهوى(نسبة إلى بلاد الباسك بين فرنسا وأسبانيا)، متمسكة بإرثها الأندلسي العربي يفصلها عن شمال أفريقيا والمغرب العربي مضيق جبل طارق، وديناميكية كاتالونيا، وتضج جمالاً طبيعيًا خصبًا في غاليسا و قمم البرينيه التي تربط أواصرها بالقارة الأوروبية.

مدريد العاصمة التي لا تنام

ربما لا تملك مدريد عاصمة أسبانيا إرث الفن المعماري التي تمتلكه برشلونة، لكنها تعوّض عن هذا النقص بامتلاكها المتاحف الاستثنائية والمتنزهات الرائعة والحياة الصاخبة. فهي مدينة لا تغلق مروحتها الأسبانية بل تبقيها مفتوحة تستعرض ألوانها المعطّرة بعبق الفن والتاريخ.
تعتبر بورتا دل سول Puerta del Sol بوابة الدخول إلى عالم مدريد، فهذه الساحة التي لا تنام الحركة فيها على مدار اليوم تخترقها خطوط حافلات تنطلق نحو ضواحي المدينة. بينما القسم السياحي لمدريد يمتد بين كامبو دول مورو Campo del Moro شمالاً ومتنزه دل بوين ريتيرو del Buen Retiro شرقًا. وإذا كانت غران فيا Gran Via الشريان الأكثر حيوية في مدريد، فإن ساحة مايور mayor تشكّل القلب النابض للمدينة. وعلى زائر المدينة ألا يفوّت الولوج إلى عالم الرسم الأسباني والفلمنكي والإيطالي بين القرنين الخامس عشر والتاسع عشر القابع في متحف برادو Prado الذي يضم تحف الأعمال الفنية العائدة لغويا وفيلاسكويز.

أما المجموعات التي يضمّها متحف تيسن بورنيميزسا Thyssen-Bornemisza فتعكس شغف الفن، وفي متحف النحت التجريدي المنفتح على السماء كل أعمال النحاتين الأسبان. وتجاور هذه المتاحف حديقة عالم النبات الملكية التي توفر جوًا من الهدوء الجميل وسط عالم أسبانيا العصري. ولمحبي مصارعة الثيران في إمكانهم مشاهدتها في ساحة توروس مونومانتال دو لاس فينتاس Plaza de Toros Monumental de las Ventas. أما هواة كرة القدم فإنهم سيستمتعون بمشاهدة مباريات ريال مدريد أو أتلتيكو مدريد. وفي أيام الآحاد يجد هواة القطع القديمة والأنتيك ما يحلمون به في سوق البرغوت في آل راستو El rasto.

برشلونة حاضنة الفن الأسباني

عند موقع فريد في الشمال الشرقي لساحل شبه جزيرة أيبيريا، وبين لازودرية البحر الأبيض المتوسط وخضرة جبل تبيدابو، تقبع برشلونة ثانية كبرى مدن إسبانيا. تبدأ زيارة برشلونة في منطقة لا رامبلا، المؤلفة من خمسة شوارع هي: رامبلا دو كاتالوتس، رامبلا دالس إيستوديس، رامبلا دو سان جوزيف، مملكة الزهور، ممر الطيور. فهنا يكون زائر المدينة على موعد مع السحر، يتسكّع تحت شجر الدلب، يغوص

في عالم فنانين تستوقفه منحوتاتهم المتناثرة بفوضى جميلة، ويطرب لزقزقة الطيور تصدح في الأجواء ويتعطر بعبق الورود.

وللورد قصة جميلة في برشلونة، ففي اليوم الثالث والعشرين من نيسان/ أبريل من كل سنة يحتفل سكان المدينة من الفجر إلى غروب الشمس بهذا اليوم. وتقول الأسطورة إن القديس جورج قتل التنين الذي أراد التهام أميرة جنوب برشلونة، ومن دماء التنين زرع حديقة ورود أهدى أجملها إلى الأميرة، ومنذ ذلك الوقت أصبح رجال المدينة يقدمون الورود إلى نسائهم في هذا اليوم من السنة.
يأخذ بالو دو لا فيرينا ، وهو قصر يعود إلى القرن الثامن عشر، الزائر إلى عالم من الخيال حيث الإبداع الفني لا حدود له. شيّد القصر على النمط الفن الروكوكي الذي اشتهر بالزخرفة المفرطة. مقدّمة رائعة لقراءة مدينة تخفي بين أروقتها أسراراً لا تنتهي.
عند زاوية شارع في كازا ميلا يقع مبنى ضخم، يطلق عليه اسم لا بيدريرا La pedrera وتعني المتحجر. و سبب هذه التسمية، أنه يشبه الجرف الصخري. يعكس هذا المبنى عبقرية غاودي الذي كانت الطبيعة مصدر إلهامه فجسّد أمواج المحيط والجبال والأشجار حتى السحب التي تجتاح القمم الجبلية في أعمال رائعة يعجز المرء عن وصفها.
تتميز حجارة واجهات المبنى باللون الشاحب يخترقه اللون الداكن للحديد، ونحتت في شكل هندسي متناقض يجمع بين التقوّسات والتجويفات والفجوات.

وفي كازا باتيللو Casa Batllo، وتعني بيت باتيللو، تتبارى الألوان في استعراض جمالها في شارع 43 باسيغ دو غراسيا No43 Passeig de gracia . قام أنطوني غاودي بترميم هذا المبنى بين عامي 1904 و1906، بتكليف من صاحب مصنع النسيج جوزيف باتلو كازانوفا.
تعكس الهندسة المعمارية للمبنى مذهب غاودي الفني الذي جمع بين التجريد والشغف بالطبيعة، ويبدو ذلك واضحاً على واجهته الخارجية التي زُيّنت بالسيراميك المزخرف بالألوان الصاخبة والهادئة، مما يعكس إحساساً بالإشراق لا حدود له.
لا يقل داخل المبني سحراً عن خارجه. فالسلالم اللولبية تحيط بها نوافذ يتغيّر إيقاع لونها الأزرق بتناغم مع تدرّجات ألوان رقاقات السيراميك. وفي الطبقة الأولى تسكن روائع غاودي للهندسة الداخلية. ويضم الجناح مدفأة رائعة وأثاثاً غريب الأشكال مستوحى من وجه المرأة.
ولهواة التسوّق تعتبر برشلونة فردوسهم، ففي جميع شوارعها تنتشر البوتيكات بشكل كبير. ففي ساحة غلوريس Glories يوجد سوق البرغوت vells Els Encants حيث تعرض الكثير من الغرائب والقطع الفريدة، أما محبو القطع القديمة فيفضّلون ميركات غوتيك Mercat Gotic في ساحة نوفا Nova . ويقام السبت والأحد في ساحة سان جوزيف أوريول Sant Josep Oriol سوق الفن والأعمال الحرفية.

غرناطة مدينة متشبثة برونقها العربي

أينما جلت في غرناطة تجد للعرب آثاراً تحدّثك عن آخر ملوكهم، عن مجدهم وانهيارهم، فهنا لا تلملم بقاياهم من ذاكرة التاريخ، بل تراها حاضرة في كل ركن من مدينة تريد الاحتفاظ برونقها الذي عرفته خلال الحكم الأموي لتبقى أجمل مدن أسبانيا، والشاهدة على روعة الفن المعماري الإسلامي في أوروبا الذي يدهش كل من يزورالمدينة. فصحون الدور العربية وحدائقها الغناء توقظ إبداع أدب غني قد يقف عاجزًا عن وصف وجودها الواقعي. لا تملك وأنت تجول بين أجنحة قصر الحمراء إلا أن ترنم موشحًا أندلسيًا «في نرجس الأحداق، وسوسن الأجياد، نبت الهوى مغروس، بين القنا الميادـ وفي نقا الكافور، والمندل الرطب، والهودج المزرور، بالوشى والعَصبِ ..».
انتهى بناء قصر الحمراء في عصر بني الأحمر الذين حكموا غرناطة بعد سقوط دولة الموحدين.
وهو من أهم المعالم السياحية في إسبانيا، تعود بداية تشييده إلى القرن الثالث عشر الميلادي، وترجع بعض أجزائه إلى القرن الرابع عشر.
ومن سمات العمارة الإسلامية الواضحة في أبنية القصر، استخدام العناصر الزخرفية الرقيقة في تنظيمات

هندسية كزخارف السجاد، وكتابة الآيات القرآنية والأدعية، وبعض المدائح والأوصاف من نظم الشعراء كابن زمرك، وتحيط بها زخارف من الجص الملوّن الذي يكسو الجدران، وبلاط القيشاني الملون ذو النقوش الهندسية التي يغطّي الأجزاء السفلية من الجدران

ويعتبر جناح الأسود أشهر أجنحة قصر الحمراء. أنشأه السلطان محمد الغني بالله عام1391. وهو بهو مستطيل الشكل تحيطه من الجهات الأربع أروقة ذات عقود يحملها 124 عموداً من الرخام الأبيض، صغيرة الحجم وعليها أربع قباب مضلّعة. في وسط البهو نافورة الأسود، يقف على حوضها المرمري المستدير اثنا عشر أسداً من الرخام، تخرج المياه من أفواهها بحسب ساعات النهار والليل.

وقد تعطلت مخارج المياه في هذه البركة حين حاول الاسبان التعرف على سر انتظام تدفق المياه بالوتيرة الزمنية التي كانت عليها. وتوفر أبراج القصر ألكازابا Alcazaba مشهدًا يحبس الأنفاس لمدينة غرناطة. وفي مقابل القصر تقع حدائق «جنّة الخليفة» Generalife الغناء. ويطيب للزائر التجوال في فضاء العالم الإسلامي في أزقة حي البائسين Albaicin. أما متعة الاسترخاء والترف فتكون في حمامات العرب Banos Arabes. هكذا هي مدن أسبانيا، رغم أنها عادت إلى أوروبيّتها منذ قرون، بقيت أندلسية الهوى، وكأني بها تقول لكل من يزورها: العرب كانوا هنا.

التجوال في أمستردام على الدراجة الهوائية

تقليد لا بد منه هولندا

يتمنى الكثيرون لو أن الزمن يسير ببطء أو تتوقف عقارب ساعاته ودقائقه فيعيشون خارجه ليستمتعوا بإجازاتهم إلى أقصى الحدود. وتبدو بعض الأماكن في الكرة الأرضية تتحدى سيرورة الزمان فتحاول أن تتآمر عليه لتجعل كل دقيقة منه لحناً يطرب من يزورها ويعيش تجربة سفر في أحضان عالم جميل هادئ يروّض جموح عصر السرعة فيطبع بإيقاع بطيء صورًا لمشاهد خلابة تلهب الخيال. وفي بلدان العالم أماكن يحلو التجوال فيها باستعمال وسائل نقل بدائية، مما يتيح لك الاستمتاع بكل دقيقة من زمن رحلتك.

هولندا: التجوال في أمستردام على الدراجة الهوائية تقليد لا بد منه

أمستردام، هذه المدينة الهولندية التي تعرف ببندقية الشمال، نظرًا إلى القنوات المائية التي تخترقها، هي أيضًا مدينة الدرّاجات الهوائية. التجوال في شوارع أمستردام الضيقة والمؤازرة للقنوات المائية على الدراجة الهوائية تقليد أمستردامي بامتياز فضلاً عن أنها وسيلة التنقل الأكثر استعمالاً في المدينة. هنا الكل يركب الدراجة الهوائية يتنقلون عليها بحرية الهواء البارد الذي يسرح ويمرح في فضاء المدينة، غير آبه بحركة الزمن، وكأن بينه وبين ناسها اتفاقًا سرّيًا أوعشقًا لا ينتهي. فيا أيها المسافر إلى أمستردام لا تتردد في تقليد سكانها واستأجر دراجة هوائية في فوندل بارك لتجول على متاحفها وترتاد مقاهيها. تكلفة استئجار الدراجة لأربع وعشرين ساعة 12،50 يورو.

بادن-بادن المدينة الألمانية

التي تدخلك في متاهة الألوان الطبيعية

«بادن بادن» هذه المدينة الألمانية التي تختصر كل جمال جنوب ألمانيا القابع في أحضان الغابة السوداء. أذكر أنني حين زرتها العام الماضي شعرت بأن فيلقًا من الجمال حاصرني فاستسلمت له إراديًا وتمنيت لو أبقى أسيرة قبضته مدى الحياة، ولكن الزمن الأرضي دائمًا يدهمنا على غفلة مدّعيًا لعبة الإنقاذ من أمكنة تشبه عالمًا افتراضيًا تعجز أخيلتنا عن تصور تفاصيله. هنا في بادن- بادن يمكن التجوال مشياً على القدمين أو بواسطة العربات التي تجرها الخيول أو بواسطة القطارات، ليستمتع زائر البلدة بلوحات طبيعية آسرة تفتن من يدخل في متاهة ألوانها.

جبل مركور ومغامرة الوقوف فوق السحاب

إذا أحببت أن تدخل سريعاً عالمًا مفعمًا بالمتعة والإثارة، فعليك زيارة جبل «مركور» Merkur الشهير الذي يبلغ ارتفاعه 2191 قدماً. يستغرق الصعود إليه خمس دقائق فقط بواسطة القطار الذي يعتبر من أكثر القطارات الأوروبية تطوراً من الناحية التقنية. يصل بك القطار إلى النقطة التي يبلغ ارتفاعها إلى 1214 قدماً، حيث يمكنك الوقوف لتتأمل بادن- بادن الجميلة!أما عندما يحين وقت تناول الطعام، فلا بد أن تتوجه إلى مطعم القمة الذي يقدم أشهى الأطباق في جلسة مميزة.

وتجدر الإشارة إلى أن محطة «مركور» لقطار سكك الحديد المعلقة تنظّم رحلات يومية إلى قمة الجبل كل 15 دقيقة، من العاشرة صباحاً ولغاية العاشرة ليلاً. ويمكنك الوصول بسهولة إلى محطة القطار من وسط المدينة بواسطة الحافلة رقم 204 أو 205 . و يمكنك شراء تذكرتك من سائق الحافلة.
أما إذا قررت الاستغناء عن القطار، فهنالك فرصة للصعود إلى قمة الجبل سيراً على القدمين! وكل ما عليك فعله هو اتباع الممر المخصص لذلك، حيث سيكون طريقك إلى قمة الجبل زاخرًا بالمناظر الخلابة التي رسمتها الطبيعة على أرض بادن- بادن، كما ستتاح لك فرصة إلقاء نظرة على محمية الحيوانات واكتشاف الكثير من الأشياء التي تستحق فعلاً أن يشاهدها المرء عن كثب.
ولمن يرغب في الحصول على المزيد من المشاهد البانورامية المذهلة، فما عليه سوى التوجه إلى صخرة «باتيرت» «Battert». فعلى مقربة من هذه الصخرة استقر المستوطنون السلتيون عندما قصدوا بادن- بادن. هنا يستقبلك السحاب الرقيق الذي يلف ببياضه الناصع منحدرات الغابة السوداء، وتحظى بمنظر رومانسي لا يمكنك مشاهدته حينما يكون الطقس نقياً.

فندق ومنتجع «Spa & Park-Hotel Brenner's» ثالوث الضيافة واللياقة البدنية والصحة

ينفرد فندق ومنتجع برينيرز بارك «Spa & Brenner's Park-Hotel» بإطلالة مركزية على شارع «ليشتنتالر آليه» الشهير، حيث يحتل موقعاً رائعاً وكأنه في حديقة أسطورية، لاسيما مع ما يمتلكه من تاريخ يمتد لأكثر من 135 عاماً.

ويتميز هذا الفندق ذو الخمس نجوم بسمعة عالمية كبيرة، ويمثل مع الشعار الذي يحمله «الحياة في وئام مع الطبيعة» مقصداً للذين يرغبون في دخول تجربة ثالوث الضيافة واللياقة البدنية والصحة.

التجوال في المدينة رحلة في عالم ألماني مترف بالتاريخ والفن والجمال الطبيعي

قد تكون الجولات السياحية برفقة المرشد السياحي مقدمة جيدة للتعرف إلى المدينة، إذ تشمل العديد من المعالم السياحية الفريدة التي تدور حولها سلسلة من الأساطير والقصص التي تتناقلها الأجيال. أما إذا أتعبك المشي، فيمكنك استكمال جولتك بواسطة العربات التي تجرها الخيول والاستمتاع بالمناظر الرومانسية التي تتصف بها بادن- بادن. وهناك فرصة أيضاً لركوب القطارات الجوالة في وسط المدينة، التي تمرّ من أمام «كورهاوس» إلى ساحة «أوغوستابلاتس» «Augustaplatz»، ومن ثم إلى الـ «باراديس» «Das Paradies»، وهي نافورة مصممة على النمط الإيطالي الذي راج في عصر النهضة، حيث بإمكانك الاستراحة على مقربة منها قبل التوجه إلى ينابيع المياه الطبية الدافئة.
ومهما كانت الطريقة التي ستستخدمها للقيام بجولتك الاستكشافية، فستحظى بمقدار كبير من المتعة

والفائدة والترفيه، لاسيما إذا عرفت أن مدينة بادن - بادن تضع كل كنوزها الفنية والثقافية على طول شارع واحد يُطلق عليه «الميل الثقافي».

هناك حيث يمتد من الطرف الغربي للمدينة حيث تقع صالة «فستشبيل هاوس»، إلى شرقها، وتنتشر ما بين الغرب والشرق المباني التاريخية مثل «ترينك هاله» و«كورهاوس»، ومسرح المدينة المتسم بهندسته الباروكية. ويستكمل «الميل الثقافي» امتداده إلى حدائق المدينة المحاذية لشارع «ليشتنتالر آليه» الشهير الذي بدأ حكايته كشارع تجاري بسيط، ولكنه بدل صورته مع الزمن ليصبح أهم شارع تجاري في بادن- بادن، والعنوان الذي يفضل الكثير من الأثرياء أن يحمل اسم متجرهم أو مقر سكنهم. في شارع «ليشتنتالر آليه» ستكون لديك الفرصة التجوال بين أشجار العتيقة والجسور المزدانة بأجمل النقوش التي ترسم ظلالها على نهر «اوس» «Oos»، كما يمكنك أن تلقي نظرة على فنادق الشارع الفخمة وقصوره الصغيرة لتخوض مغامرة التسوّق في هذا الشارع، الذي لا يزال يحافظ على مكانته كأحد أهم الشوارع التجارية في العالم منذ أكثر من 350 عاماً.
ويعتبر متحف «فريدر بوردا» «Frieder Burda» الذي افتتح عام 2004 جوهرة بادن- بادن.
أما من يرغب في اكتشاف تاريخ بادن- بادن الطويل وخصوصًا خلال الفترة التي استعمرها فيها الرومان، وشهرتها كبلدة لينابيع المياه الحارة الطبية وكمركز مهم للاهتمام بالصحة، فعليه التوجه إلى «متحف بادن- بادن». فقد حظيت المدينة بشهرة واسعة خلال القرن التاسع عشر نظراً إلى غناها بالينابيع، ولكثرة مرافق الترفيه والتسلية التي تقدمها لزوارها.

عند زيارتك «بقايا الحمامات الرومانية» فسوف تتعرف إلى الطريقة التقليدية في استخدام المياه الدافئة الطبية. فلقد أدرك الرومان القدامى أنفسهم أهمية الاسترخاء في مياه بادن- بادن التي تتدفق من ينابيعها الشهيرة بمياهها الساخنة والتي تمنح الجسم الكثير من المنافع الصحيّة.

للموسيقى والخيل في بادن- بادن صولات وجولات
للتعرف إلى الأجواء الموسيقية والمسرحية في بادن- بادن، ننصحك بزيارة «فستشبيل هاوس» «Festspielhaus» حيث يتردد العديد من الفنانين الكلاسيكيين أمثال آن صوفي موتر، دانيال بارينبويم،كانت ناغانو، بالاسيو دومينغو، جايمس ليفاين، توماس هامبسون وغيرهم كثيرون. وفي هذه الصالة تتلاقى أنواع الهندسة التي تنتمي إلى حقبات تاريخية مختلفة، فالواجهة الخارجية التي كانت في السابق المدخل الرئيسي لمحطة قطار سكك الحديد، تتمتع بالهندسة الكلاسيكية الحديثة، وتقودك بدورها إلى صالة الحفلات العصرية، التي استبدلت هندستها التي راجت منذ أكثر من مئة عام، بأساليب الهندسة الحديثة المعروفة في يومنا هذا. ورغم عمرها القصير، فأنها تحظى بشهرة عالمية في مجال تقنيات هندسة الصوت المتطورة.
وسيكون عشاق الموسيقى على موعد هذا العام مع العروض الموسيقية التي تشمل أروع المقطوعات الموسيقية التي تقدمها فرق الأوركسترا العالمية، وعروض الأوبرا التي تؤنس القلب والروح، إلى جانب الحفلات الموسيقية التي تقدمها فرقة «هربرت فون كارايان ويتسان».

وبالانتقال إلى مسرح بادن بادن، سوف تطالعك الهندسة الرائعة في كل زاوية من زواياه، حيث يشبّه كثيرون واجهة المسرح الخارجية بدار الأوبرا في باريس، أما في الداخل فسوف تستقبلكم العروض الفنية التي تضرم من جديد اللقب الذي حملته بادن-بادن في السابق: «عاصمة المصايف الأوروبية». وقد وضعت مديرة المسرح «نيكولا ماي» برامج متنوعة لمسرحيات وأعمال فنية لتتماشى في كل موسم مع الأذواق المختلفة لمحبي المسرح.
أما عند زيارتك «منزل برامز»، فستتمكن من دخول الغرفة الزرقاء التي كان يمضي فيها الموسيقار يوهان برامز معظم أوقاته، حيث ستنقلك الأجواء الحلوة إلى الماضي خلال لحظات قليلة. وفي هذا المنزل المعروف بإسم «ليشتنتال» رقم 8، ستشعر بروح الخلق والإبداع، وستسر بكل لحظة فيه. فهنا أمضى برامز فصل الصيف بين عامي 1865-1874 وكتب بعض مقطوعاته الموسيقية العالمية.
ولا تقتصر إقامة الفعاليات والحفلات الموسيقية على المسارح، بل تمتد إلى أماكن أخرى. فمثلاً يعتبر مضمار «إيفزهايم» لسباق الخيل بأجوائه الرائعة، المكان المثالي للتسلية وإقامة المناسبات السعيدة

والحفلات الموسيقية وغيرها من النشاطات الترفيهية. تتوجه أنظار العالم ثلاث مرات سنوياً إلى هذا المضمار الشهير في بادن بادن، إذ تبدأ أولى الحفلات في فصل الربيع أي بين نهاية شهر أيار/مايو وبداية حزيران/يونيو، يليها المهرجان الأسبوعي الكبير الذي يقام بين نهاية شهر آب/ أغسطس وبداية أيلول/ سيبتمبر، وتودع المدينة موسم المهرجانات بما يُعرف بمهرجان سباق الخيل والمبيعات الذي يقام في نهاية تشرين الأول/ أكتوبر.

وعندما تحملك الرحلة إلى بادن-بادن تذكر دائماً أنه يجب أن تستيقظ باكرًا لتتناول فطورك في النادي المشرف على المكان الذي يمارس فيه الفرسان تمارينهم الصباحية، حيث تحظى بمشهد رائع يدفعك إلى الانتظار بشوق ولهفة بدء السباق الذي يضع بادن- بادن على قائمة أشهر مدن العالم.

لوحات من صنع الطبيعة

كلما تجولت في شوارع بادن-بادن أكثر وتعرفت إلى أجوائها وفعالياتها ومعالمها، توقن أن جمال هذه المدينة لا يختبئ أبداً، بل يظهر دوماً أمام عينيك ويمنحك فرصة رائعة للتمتع والاسترخاء. فإذا أردت مثلاً أن تمضي وقتك في مكان مناسب فما عليك سوى التوجّه إلى منحدرات «ميشائيلسبرغ» «Michaelsberg» حيث المتنزهات والحدائق الغنّاء. وكل ما عليك القيام به هو إتباع شلالات الماء التي تتدفق وراء مبنى «ترينك هاله» «Trinkhalle»، أو «غرفة الضخ»، المزدانة بأعمدة كورنثية الطراز، وبجدران ترتاح عليها أروع اللوحات الزيتية. في هذا المكان تفوح رائحة القهوة اللذيذة والحلويات، وكأنها تدعوك لتذوقها فوراً، حيث يوجد مقهى يستقبل الزبائن على مدار الساعة، يحلو فيه الاسترخاء والاستمتاع بمنظر في غاية الجمال.
كما يوجد في مبنى «ترينك هاله» مكتب لتزويدك المعلومات السياحية، حيث بإمكانك شراء التذاكر لحضور المسرحيات والعروض الفنية وغيرها. كما يزود المكتب السياح النصائح حول النشاطات التي يجب القيام بها خلال وجودهم في بادن- بادن، مما يساهم في تسهيل جولتك السياحية في المدينة.

ومن المعالم المعروفة والتي تستحق الزيارة أيضاً، مبنى «كورهاوس الذي تبهرك صالته بتصميمها المفعم بالسحر والجمال. وقد شيدت الصالة بين عامي 1821-1824 على يد فريدريش فاينبرنر، وهي تشمل أجنحة ضخمة وصالات للمآدب، وفيها يحلو الاحتفال بأي من المناسبات السعيدة. تحيط «كورهاوس» حدائق غنّاء، تنتشر بقربها المتاجر الراقية.
عندما يهبط الظلام في بادن- بادن . تُضاء شوارعها بمصابيح الغاز القديمة وتغازل البيوت الشمس أثناء المغيب بانبعاث أنوارها الخافتة لتدخلك في أجواء ساحرة لم تعشها من قبل

الإبحار شراعيًا في جزيرة سردينيا الإيطالية

رحلة تلهب الخيال

مع حلول فصل الصيف يحلم الكثيرون بتمضية إجازة صيفية فيها الكثير من الاسترخاء والتأمل. ويكون السفر إلى إحدى الجزر السابحة في رحاب محيطات العالم وبحاره حلمهم، يستلقون على الشاطئ ليغسلوا همومهم التي تذوب بين ذرّات رماله كما يذوب الزبد. فيختار بعضهم السفر بحرًا عبر السفن السياحية للتجوال بين أروقة الجزر البحرية، أما بعضهم الآخر فيحلمون بتجربة الإبحار بكل حواسهم، ويختارون مغامرة عبور البحر وجزره بمركب شراعي يتلاعب الهواء والموج بوجهته إلى أن يستريح عند إحدى الجزر فينعم راكبه بتأمل سقوط الشمس في الأفق الأرجواني بعد يوم طويل وسط الأزرق. وفي العالم جزر كثيرة تلهب الخيال وتوقظ الإحساس بالجمال إلى حد يتمنى المرء البقاء فيها حتى نهاية الزمان.

جزيرة سردينيا الإيطالية

ليس أجمل من الاسترخاء في أكثر جزر البحر الأبيض المتوسط عزلة. إنها جزيرة سردينيا الإيطالية بشواطئها الرائعة التي تلفحها بين الحين والآخر ريح قوية والتي تعتبر مقصد رواد البحر من كل أصقاع الكرة الأرضية. ويعتبر متنزه ديل أرسيبيلاغو ديللا ماداليناً في شمال شرقي الجزيرة الذي يشكل أرخبيلاً من سبع جزر ملاذ هواة البحر، يتجولون بين أروقتها البحرية تاركين الريح تتلاعب بأشرعتهم فتدّلهم إلى أجمل المغامرات البحرية، ليختاروا رسو مراكبهم إما على خلجان وشواطئ الجزر الثلاث شمالاً، وهي إيزولا بوديللي وإيزوللا راسولي وإيزوللا سانت مرايا، أو الإبحار في مياه بورتو ديللا مادونا. للاستعلام عن أرخبيل ماديلينا: www.lamaddalenapark.it

الإبحار شراعيًا في كرواتيا

إجازة فيها الكثير من الاسترخاء والتأمل

مع حلول فصل الصيف يحلم الكثيرون بتمضية إجازة صيفية فيها الكثير من الاسترخاء والتأمل. ويكون السفر إلى إحدى الجزر السابحة في رحاب محيطات العالم وبحاره حلمهم، يستلقون على الشاطئ ليغسلوا همومهم التي تذوب بين ذرّات رماله كما يذوب الزبد. فيختار بعضهم السفر بحرًا عبر السفن السياحية للتجوال بين أروقة الجزر البحرية، أما بعضهم الآخر فيحلمون بتجربة الإبحار بكل حواسهم، ويختارون مغامرة عبور البحر وجزره بمركب شراعي يتلاعب الهواء والموج بوجهته إلى أن يستريح عند إحدى الجزر فينعم راكبه بتأمل سقوط الشمس في الأفق الأرجواني بعد يوم طويل وسط الأزرق. وفي العالم جزر كثيرة تلهب الخيال وتوقظ الإحساس بالجمال إلى حد يتمنى المرء البقاء فيها حتى نهاية الزمان.

كرواتيا

يطلق على كرواتيا" اليونان الجديدة" و" الريفييرا الجديدة" وأيضًا "توسكانا الجديدة". والإبحار إلى كرواتيا يعني اختيار إبحار وسط الريح. رغم هذا الشغف المفاجئ بهذه الجزيرة، فإنها عرفت كيف تحافظ على فضائها المنفلت من الزمن. فالشمس هنا لم تتغير ساعات شروقها ولا تلمع خيوطها قبل أوانها، ومياه البحر الأدرياتيكي لا تزال كريستالية لم يعكر صفوها تراكم الأزمنة. لذا ليس أجمل من اختراقها بمركب شراعي لاكتشاف 1778 كيلومترًا من سواحل الأدرياتيكي وبعض جزره الـ 1185.

يشعر هواة البحر الذين يحبون الترف بأنهم في ديارهم في جزيرة هافر Hvar، فيما أولئك الذين يفضّلون تمضية إجازة في خلجان معزولة وقرى الصيادين التقليدية فيمكنهم اختيار جزيرة كورناتي أو جزيرة ألافيتي. وفي مدينتي سبليت ودوبروفنيك بوابتي دخول كراوتيا أماكن غطس تحبس الأنفاس.

باريس

مدن في العالم تعشق التيه بين أروقتها

يخيّل لنا أحيانًا أن الهروب من ضجيج المدن ، يعني أننا نبحث عن الاسترخاء في أقصى حدوده. ولكن يحدث أحيانًا أننا نتوق إلى العودة إلى مدن تلهب مخيلتنا لنعيد اكتشافها، وكأنها المرّة الأولى التي نزورها، فنقع أسرى حركتها ونتوه في أروقة عوالمها لتتكشّف لنا وجوه لم نلمحها في المرات السابقة، فنحدّق إليها وننقب في حفريات ذاكرتها لنحشد في حقيبة أسفارنا صورًا لمدن تخرق قانون الأبعاد الثلاثية وتجعلنا نعيش خارج الزمان والمكان، فنعيد ترتيبها في ألبوم ذاكرتنا لنفاجأ بأننا عرفنا شيئًا عنها وغابت عنا أشياء، مما يحملنا على توضيب حقيبة السفر إليها. وفي العالم مدن رغم أنها تعرف بـ"كليشيه" الوجهات السياحية فإن في كواليسها ما يجعل تكرار زيارتها محاولة لإشباع فضول التعرّف إليها أكثر.

كل العبارات أطلقت على باريس عاصمة عصر الأنوار الفرنسية. إنها أكثر المدن التي نظمت فيها القصائد والأغنيات. مدينة تعرف كيف تدخل زائرها في متاهة من المتع التاريخية والأدبية مضمّخة بالعطور الباريسية. فيجد الزائر نفسه مدمنًا زيارة برج أيفل والباستيل، والقيام بنزهة رومانسية على طول ضفة نهر السين أو ارتياد مقاهي البوهيميين، أو المعالم الأثرية والمتاحف، أو المراكز التجارية مثل لافاييت ويتمتع بالمطبخ الفرنسي. ولا يمكن تجنب زيارة المواقع الموجودة على طول نهر السين، فكل حي في باريس يحتفظ بطابعه الفريد مما يجعل للمدينة وجوهًا عدة. للاستعلام عن الدائرة التي يرغب السائح في المكوث فيها تبعًا لهواه، يمكن زيارة موقع: www.france.com /guide

أمستردام (هولندا)

مدن في العالم تعشق التيه بين أروقتها

يخيّل لنا أحيانًا أن الهروب من ضجيج المدن ، يعني أننا نبحث عن الاسترخاء في أقصى حدوده. ولكن يحدث أحيانًا أننا نتوق إلى العودة إلى مدن تلهب مخيلتنا لنعيد اكتشافها، وكأنها المرّة الأولى التي نزورها، فنقع أسرى حركتها ونتوه في أروقة عوالمها لتتكشّف لنا وجوه لم نلمحها في المرات السابقة، فنحدّق إليها وننقب في حفريات ذاكرتها لنحشد في حقيبة أسفارنا صورًا لمدن تخرق قانون الأبعاد الثلاثية وتجعلنا نعيش خارج الزمان والمكان، فنعيد ترتيبها في ألبوم ذاكرتنا لنفاجأ بأننا عرفنا شيئًا عنها وغابت عنا أشياء، مما يحملنا على توضيب حقيبة السفر إليها. وفي العالم مدن رغم أنها تعرف بـ"كليشيه" الوجهات السياحية فإن في كواليسها ما يجعل تكرار زيارتها محاولة لإشباع فضول التعرّف إليها أكثر.

أمستردام، عاصمة هولندا، تحضن قصورًا يعود تاريخ إنشائها إلى القرن السابع عشر، تتأمل قنوات مائية يتعلق فوقها 1200 جسر، وهي تداعب بيوتًا عائمة بنوافذها الصغيرة التي تتدلى منها أصص الزهور، يعيش فيها أصحابها صيفًا وشتاء، وغاليريات ومتاحف تروي تاريخ المدينة.
توفر المدينة كل ما يشبع أمزجة زوّارها المتقلّبة. و تتمركز معظم وسائل الترفيه في أمستردام حول القنوات التي يحيطها حزام من الشوارع الضيقة التي تنتشر فيها المقاهي الغريبة، ونواد ليلية عتيقة، وجسور أنيقة تربط شرايين المدينة الحيوية.

يحلو التجوال بين غرائب أمستردام على دراجة هوائية فيتآمر راكبها على الوقت ليدور ببطء ويستمتع بكل لحظة وهو يقرأ صفحات المدينة سطرًا سطرًا. في الصيف يكون زائر أمستردام على موعد مع العروض المسرحية في الهواء الطلق التي تقدّم في متنزه فوندل بارك Vondelpark . للاستعلام:
www.openluchtthearter.nl

برلين (ألمانيا)

مدن في العالم تعشق التيه بين أروقتها

يخيّل لنا أحيانًا أن الهروب من ضجيج المدن ، يعني أننا نبحث عن الاسترخاء في أقصى حدوده. ولكن يحدث أحيانًا أننا نتوق إلى العودة إلى مدن تلهب مخيلتنا لنعيد اكتشافها، وكأنها المرّة الأولى التي نزورها، فنقع أسرى حركتها ونتوه في أروقة عوالمها لتتكشّف لنا وجوه لم نلمحها في المرات السابقة، فنحدّق إليها وننقب في حفريات ذاكرتها لنحشد في حقيبة أسفارنا صورًا لمدن تخرق قانون الأبعاد الثلاثية وتجعلنا نعيش خارج الزمان والمكان، فنعيد ترتيبها في ألبوم ذاكرتنا لنفاجأ بأننا عرفنا شيئًا عنها وغابت عنا أشياء، مما يحملنا على توضيب حقيبة السفر إليها. وفي العالم مدن رغم أنها تعرف بـ"كليشيه" الوجهات السياحية فإن في كواليسها ما يجعل تكرار زيارتها محاولة لإشباع فضول التعرّف إليها أكثر.

برلين عاصمة ألمانيا ومركزها الثقافي. إنها مدينة المعالم الأثرية الرائعة، والمتاحف والمسارح والمقاهي الأنيقة والملاهي الليلية، مما يجعلها مدينة لكل الناس مهما اختلفت أذواقهم وطباعهم. فتشكّل فردوسًا لهواة الفن والهندسة المعمارية، وتروي عطش عشاق الثقافة بمتاحفها، ويحتار هواة الموسيقى بين حضور الأوبرا والاستعراضات الراقصة والمسرح والاستماع إلى موسيقى الجاز أو إلى موسيقى التكنو التي انطلقت من برلين مع سقوط جدار برلين في تشرين الثاني/نوفمبر1989 على وقع أغنية بينك فلويد Another Brick in the wall "آجرة أخرى في الجدار».

أدنبره (اسكوتلندا)

مدن في العالم تعشق التيه بين أروقتها

يخيّل لنا أحيانًا أن الهروب من ضجيج المدن ، يعني أننا نبحث عن الاسترخاء في أقصى حدوده. ولكن يحدث أحيانًا أننا نتوق إلى العودة إلى مدن تلهب مخيلتنا لنعيد اكتشافها، وكأنها المرّة الأولى التي نزورها، فنقع أسرى حركتها ونتوه في أروقة عوالمها لتتكشّف لنا وجوه لم نلمحها في المرات السابقة، فنحدّق إليها وننقب في حفريات ذاكرتها لنحشد في حقيبة أسفارنا صورًا لمدن تخرق قانون الأبعاد الثلاثية وتجعلنا نعيش خارج الزمان والمكان، فنعيد ترتيبها في ألبوم ذاكرتنا لنفاجأ بأننا عرفنا شيئًا عنها وغابت عنا أشياء، مما يحملنا على توضيب حقيبة السفر إليها. وفي العالم مدن رغم أنها تعرف بـ"كليشيه" الوجهات السياحية فإن في كواليسها ما يجعل تكرار زيارتها محاولة لإشباع فضول التعرّف إليها أكثر.

تعتبر أدنبره، عاصمة اسكوتلندا، مدينة لا يمكن تجنب تمضية عطلة الأسبوع فيها. إنها نموذج لتمازج القديم والعصري. فبغض النظر عن الشارع الذي يجول فيه زائرها يلاحظ التناقضات التي تتميز بها أدنبره. فهنا يسكن متجر لبيع الأسطوانات في مبنى يعود إلى القرن الخامس عشر، ويقف مكتب الإطفاء مقابل أبنية تعود إلى العصر الجيورجي. وعند أطراف المدينة يكتشف السائح أسوارًا عالية، وبركانًا خامدًا وهضبات تحيطها هالة من الأساطير القديمة.

وليس عبثًا أن يطلق عليها أيضًا مدينة المهرجانات لذا على من يريد زيارة أدنبره في شهر آب / أغسطس أن يحجز قبل وقت طويل لحضور مهرجان أدنبره الدولي، أكبر ظاهرة فنية في العالم مخصصة للفنون المسرحية. فضلاً عن أنه قبل أسبوع من بدء هذا المهرجان يقام مهرجان أدنبره للجاز والبلوز بين 31 تموز/ يوليو و 9 آب/ أغسطس. للاستعلام: www.edinburghjazzfestival.co.uk

برشلونة (أسبانيا)

مدن في العالم تعشق التيه بين أروقتها

يخيّل لنا أحيانًا أن الهروب من ضجيج المدن ، يعني أننا نبحث عن الاسترخاء في أقصى حدوده. ولكن يحدث أحيانًا أننا نتوق إلى العودة إلى مدن تلهب مخيلتنا لنعيد اكتشافها، وكأنها المرّة الأولى التي نزورها، فنقع أسرى حركتها ونتوه في أروقة عوالمها لتتكشّف لنا وجوه لم نلمحها في المرات السابقة، فنحدّق إليها وننقب في حفريات ذاكرتها لنحشد في حقيبة أسفارنا صورًا لمدن تخرق قانون الأبعاد الثلاثية وتجعلنا نعيش خارج الزمان والمكان، فنعيد ترتيبها في ألبوم ذاكرتنا لنفاجأ بأننا عرفنا شيئًا عنها وغابت عنا أشياء، مما يحملنا على توضيب حقيبة السفر إليها. وفي العالم مدن رغم أنها تعرف بـ"كليشيه" الوجهات السياحية فإن في كواليسها ما يجعل تكرار زيارتها محاولة لإشباع فضول التعرّف إليها أكثر.

عند موقع فريد في الشمال الشرقي لساحل شبه جزيرة أيبيريا، وبين لازودرية البحر الأبيض المتوسط وخضرة جبل تبيدابو، تقبع برشلونة ثانية كبرى مدن إسبانيا، و إحدى أكثر مدن العالم حيوية في كل المجالات، إن في الأزياء أو الموسيقى أوالمطبخ أوالفنون التشكيلية.
رغم أن برشلونة تضج بالأحداث والمهرجانات على مدار السنة، فإن فصل الصيف يحوّلها إلى مدينة لا تنام حتى ساعات الفجر الأولى.

عندئذٍ يحتضن الأفق المتوهّج حمرة المدينة برمتّها فتنشغل حواس الزائر بتمازج فوران رقص الفلامنكو وقهقهات صنوج الخشب وبحة صوت غجري حزين تعلو وتيرته بصرخة "أولي".إنها مخبأ أعمال بيكاسو وميرو ومدينة غاودي عبقري الهندسة المعمارية الذي جمع بين التجريد والشغف بالطبيعة، فأخرجت أنامله معالم معمارية ضخمة رائعة.

وفي الأحياء القديمة لبرشلونة تعرض الحوانيت التذكارات والتحف الفنية وتتدلى من أسقفها الفساتين المزركشة تتماوج بحركات راقصة تنافس حركة الفنانين الذين اتخذوا من ساحات الأحياء مسرحاً لاستعراض ما تجود به إبداعاتهم. وتتحول رائحة الطعام اللذيذ التي تفوح من المطاعم إلى هوى من نوع خاص يستهلك حواسك كلها، فتبحث عن حاسة أخرى تعيش خارج الزمان والمكان.

براغ (الجمهورية التشيكية)

مدن في العالم تعشق التيه بين أروقتها

يخيّل لنا أحيانًا أن الهروب من ضجيج المدن ، يعني أننا نبحث عن الاسترخاء في أقصى حدوده. ولكن يحدث أحيانًا أننا نتوق إلى العودة إلى مدن تلهب مخيلتنا لنعيد اكتشافها، وكأنها المرّة الأولى التي نزورها، فنقع أسرى حركتها ونتوه في أروقة عوالمها لتتكشّف لنا وجوه لم نلمحها في المرات السابقة، فنحدّق إليها وننقب في حفريات ذاكرتها لنحشد في حقيبة أسفارنا صورًا لمدن تخرق قانون الأبعاد الثلاثية وتجعلنا نعيش خارج الزمان والمكان، فنعيد ترتيبها في ألبوم ذاكرتنا لنفاجأ بأننا عرفنا شيئًا عنها وغابت عنا أشياء، مما يحملنا على توضيب حقيبة السفر إليها. وفي العالم مدن رغم أنها تعرف بـ"كليشيه" الوجهات السياحية فإن في كواليسها ما يجعل تكرار زيارتها محاولة لإشباع فضول التعرّف إليها أكثر.

براغ. إنها المدينة التي قال عنها أديبها فرانز كافكا:"براغ مدينة لا يمكن الانعتاق من سحرها". لم تتأخر براغ عاصمة تشيكيا عن موعدها في أن تكون إحدى أكثر المدن الأوروبية استقطابًا للسياح بعد أن خلعت رداء الشيوعية. في حي مالا ستارانا المنبسط بين ضفة نهر فلتافا الغربية وهضبة هرادساني، يسكن فن القرون الوسطى في كنائس باروكية وتحت أسقف حمراء وينثر عبقه في حدائق غنّاء تجرّ الزائر إلى شارع نيرودوفا بأروقته الضيّقة والمرصوفة بالحجارة وبيوته العتيقة ذات الواجهات البيضاء والصفراء والحمراء والمداخل المزخرفة بقلادات برونزية.

بين فرنسا وألمانيا وهولندا ... بلجيكا

بلاد تحضن مدنًا جميلة تعشقها الأذن قبل العين

بين فرنسا وألمانيا وهولندا تقبع بلجيكا التي تغيب عن شمالها التضاريس مستحضرة أغنية جاك برل pays Plat أو «البلاد المسطّحة»، وهي تتنفس غربًا ريح بحر الشمال الذي رغم المحطات البحرية المشيدة من الإسمنت والممتدة على مسافة 65 كيلومترًا من ساحله لا يزال بعض الشواطئ يتلاعب ريح بحر الشمال بكثبانها اللؤلؤية. فيما تسيطر عند جنوب شرقها المرتفعات الشاهقة لسلسلة جبال Ardennes آردن المهيبة.
يستحيل على زائر بلجيكا ألا يخضع لسحرها فيحار في أي مدينة يجول، فكل مدنها هي مدن فن. بروج Bruges وغان Gand تستعرضان بأبهة الهندسة المعمارية الفلمنكية لعصر النهضة التي ترمز إلى الغنى التاريخي لبلجيكا، وفي بروكسل عاصمتها وعاصمة الاتحاد الأوروبي يجتمع أكبر عدد من المنظمات الدولية أهمها منظمة حلف شمال الأطلسي Nato.

العاصمة
كثيرًا ما كنت أسمع وأنا صغيرة حكايات عن بروكسل وجمالها من خالي الذي كان يدرس الطب في جامعة Universite Libre de Bruxelles. ففي كل سنة كنت أنتظر بفارغ الصبر قصص الشرائط المصوّرة تانتان وميلو Milou & Tintin وعلبة الشوكولاته التي يحملها وكأنها صندوق فرجة يضمّ مع كل حبة صورة ملوّنه أطبعها في ذاكرتي.

في التاريخ أن أصل بر وكسل يعود إلى القرن العاشر، حين أتى إليها شارل، دوق باس- لوزارينجي Basse-Lotharingie وبنى قصرًا صغيرًا في جزيرة سانت جيري St.Gery العائمة على مستنقع. ومنذ ذلك الوقت أطلق على المكان الذي يعرف اليوم ببروكسل اسم برويوسيللا Bruoscella ، ويعني باللغة الإيرلندية بيت المستنقعات.
تبدو بروكسل اليوم مدينة عالمية. فأينما تجوّلت في شوارعها تسمع الثرثرات بلغات العالم ترافق أذنيك، وزحمة الوجوه ذات البشرة المتعددة الألوان ترسم لوحة فسيفسائية. وهذا ليس غريبًا، فسكان بروكسل ثلثهم من العرب المسلمين والموظفين الديبلوماسيين ورجال الأعمال من مختلف الجنسيات الأوروبية والأميركية والآسيوية. لذا فإضافة إلى اللغتين الفرنسية والهولندية يتقن سكان بروكسل اللغة الإنكليزية.
يعكس شارع بيتيت رو دو بروكسل Petite Rue de Bruxelle روح المدينة المضيافة، وهو حائز شهرة عالمية بسبب طابعه الفريد. إذ حوّل سكّان هذا الحي بيوتهم العتيقة إلى مطاعم رصيف يقدّمون فيها ما لذّ وطاب من المأكولات البحرية، يعرضونها على المتجوّلين في الهواء الطلق دون خوف من التلوّث، فعبور السيارات ممنوع في هذا الشارع.

كيفما تجوّلت في بروكسل تبهرك روائع الفن الحديث. ولا شكّ في أن قصر شارل دو لورين واحد من المعالم الأثرية الذي يحتضن روائع الفن الانطباعي والسريالي يعرضها في قاعاته السفلى تحت الأرض.
واللافت أن هذه القاعات تضم أعمالاً لأساطين الفن أمثال ميرو ودالي وبولتانسكي وبيكاسو. أما هواة الفن السريالي فيجدون في بروكسل مكانهم ليس بسبب الجو الفني الذي يطغى على المدينة بل بفضل الأعمال الباهرة لـ دلفو Delvaux ومارغريت، المعروضة في متحف الفنون الجميلة.وفي شارع سابل Sables تبهرك رسوم الشرائط المصوّرة التي زينت جدران المتاجر القديمة، خطتها يدا الفنان هورتا بإتقان، مما يجعلك تشعر بأنك وسط إحدى صفحات الكتب. متعة التسوّق في بروكسل لا تنسى. فمتاجر شارع أنطوان دانسيرت تتضمن أجمل ما ابتدعه المصممون البلجيكيون، وتبهرك واجهات غاليري سانت هوبير بما تعرضه من بضائع، لا سيما السجاد والتحف القديمة مما يثير فيك رغبة الشراء من دون التفكير في عاقبة نفاد نقودك.

بروج Bruges
تعتبر بروج متحفًا سقفه الفضاء وجدرانه الزمن تسمّر في مكانه منذ القرن الثالث عشر، بسبب تراكم رمال نهر بروج.

إنها المدينة التي عرفت كيف تحافظ على إرثها التاريخي القروسطي، فلا عجب أن تكون أكثر مدن بلجيكا التي يقصدها السياح. فعلاوة عن وجود ساحتين رائعتين وهما ماركت Markt أو الساحة الكبرى وبورغ، تضم المدينة مجموعة من الأعمال الفنية الأجمل في البلاد. فهناك متحف غرونينغ الذي يعرض الأعمال الفنية البدائية الفلمنكية، وفندق المدينة Stadhuis الذي يعود إلى القرن الرابع عشر ويضم مجموعة رائعة من اللوحات والأثاث الفاخر.
أما في وسط المدينة فيمكن السياح ذوو القلوب الجريئة الاستمتاع بمشهد بانورامي فريد للمدينة على ارتفاع 366 قدم عند بفروا Beffroi. ويمكن الوصول إلى بروج بالقطار الذي يعبر من بروكسل أو أنفرس (أنتورب).

غان Gand
كانت غان واحدة من أكبر مدن أوروبا خلال القرون الوسطى. وتقع عند نقطة التقاء أيسكو Escaut وليس Lys. وكانت في الماضي مسرح الثورة الدموية التي قامت اعتراضًا على الضرائب وتقليص النفقات التي فُرضت على سكان المدينة. تتميز غان بأسوارها الرمادية التي تزداد دكنًا مع مرور الزمن. وتضم كاتدرائية Sint-Baafskathedral تحفة أعمال جان فان أيك Mystique Agneau

كامدن في بريطانيا

أسواق تحمل كل حنين المدن التي تحضنها

ذكر باولو كويللو في كتابه «river like the flowing» أن من يزور مدينة عليه ألا يشغل نفسه بزيارة متاحفها وآثارها التاريخية ليفاخر بها أمام زملاء العمل، بل عليه أن يبحث في شخصيتها وأن يجلس في مقاهيها ويتحدث إلى أهلها ويتذوّق طعامها و يعيشها بكل حواسه. هذه النصيحة التي أعتمدها في أسفاري تجعلني أشعر بالاكتفاء لأن التعرّف إلى عادات سكان البلد الذي تزوره وتقاليدهم يكوّن لديك انطباعًا شخصيًا وغنى ثقافيًا، يجعلك تتعرف إلى الوجه الحقيقي للبلد بعيدًا عن أدوات التجميل التي تستعملها الشركات السياحية لمنحك أكبر مقدار من الراحة المترفة خلال إجازتك. و يبقى التجوال في السوق الشعبي مغامرة فريدة يتذكرها المسافر بعد أن يعود أدراجه في بلده الأم. وفي مدن العالم أسواق شعبية تشبه المتاهات من حيث الباعة والبضائع والروائح التي تفوح في أجوائها.

ان هذا السوق اللندني كان يفتح في الماضي أيام الآحاد فقط، بينما راهنًا أصبح يفتح طوال أيام الأسبوع. ويتألف من شوارع عدة توزع بين شارع لوك ماركت الذي يجذب هواة الأعمال الحرفية، وكامدن ستيبل وأليكتريك بال روم وسوق مغلق يعرض للموضة العالمية. تفتح المتاجر بين الحادية عشر قبل الظهر والسادسة مساءً.

البازار الكبير في تركيا

أسواق تحمل كل حنين المدن التي تحضنها

ذكر باولو كويللو في كتابه «river like the flowing» أن من يزور مدينة عليه ألا يشغل نفسه بزيارة متاحفها وآثارها التاريخية ليفاخر بها أمام زملاء العمل، بل عليه أن يبحث في شخصيتها وأن يجلس في مقاهيها ويتحدث إلى أهلها ويتذوّق طعامها و يعيشها بكل حواسه. هذه النصيحة التي أعتمدها في أسفاري تجعلني أشعر بالاكتفاء لأن التعرّف إلى عادات سكان البلد الذي تزوره وتقاليدهم يكوّن لديك انطباعًا شخصيًا وغنى ثقافيًا، يجعلك تتعرف إلى الوجه الحقيقي للبلد بعيدًا عن أدوات التجميل التي تستعملها الشركات السياحية لمنحك أكبر مقدار من الراحة المترفة خلال إجازتك. و يبقى التجوال في السوق الشعبي مغامرة فريدة يتذكرها المسافر بعد أن يعود أدراجه في بلده الأم. وفي مدن العالم أسواق شعبية تشبه المتاهات من حيث الباعة والبضائع والروائح التي تفوح في أجوائها.

يعتبر البازار الكبير في اسطنبول أكبر أسواق تركيا المغلقة، ويحتوي على 4000 متجر وستين شارعاً تجذب 400 ألف شخص يوميًا. تعرض هذه المتاجر المجوهرات والسجاد والنحاسيات وقطع الجلد والنراجيل والسيراميك والأعمال الفخارية... شيد بازار اسطنبول الكبير عام 1520، ويضم مسجدًا و21 نزلاً وسوقين تختبئان تحت أقواس معقودة، وسبع برك و18 بابًا. يفتح البازار من الاثنين إلى السبت من التاسعة صبحًا حتى السابعة مساءً. ويقع على مسافة 15 دقيقة سيرًا على الأقدام من الجامع الأزرق

القطار الأسطورة في إسبانيا

ألأندلس أكسبرس

لا يختلف اثنان على أن السفر في الطائرة والتحليق في الفضاء كسب للوقت، ولكن تبقى تجربة السفر عبر القطار فريدة. فهي تدخلك في متاهات الطبيعة الخلابة، لتباغتك صور، بعضها لا تستطيع تخزينها في ذاكرتك أو ربما تبقى ولكنها تشبه الشريط السينمائي السريع جدًا الذي إذا ما ضغطت زر التشغيل تتحرك صور لا ترى منها إلا شذرات ألوان سريعة تنهال على بصرك كسرعة البرق، تليها صور رائعة تتحرك ببطء وكأنها تعبت من سباق أزلي مع الوقت لترتاح عند محطات مدن بقيت رغم كل المتغيرات التاريخية والجغرافية متشبثة بجمالها الطبيعي لتلهب الخيال الإنساني الذي يعجز عن إدراكها. وفي مدن العالم قطارات تحوّل السفر فيها إلى أسطورة تعيشها بكل حواسك، فتتمنى لو أنك لا تنزل في آخر محطاتها.

تدير هذا القطار الفخم شركة خاصة، والمفارقة أنه ليس قطارًا سريعًا كما يشير اسمه، إذ يستغرق السفر فيه بين مدينتي إشبيلية وغرناطة ستة أيام ذهابًا وإيابًا، يوفّر خلالها لركابّه رحلة فيها كل وسائل الرفاهية وأسلوب السفر المخملي. يضم مقصورات للنوم مريحة جدًا، ومقاهي عدة تقدّم أشهى أطباق المطبخ العالمي، وكذلك صالونات. يطغى على ديكوره أجواء أوروبا المخملية حيث كل الأثاث الموجود فيه من الجلد، وتضفي عليه الأنوار الخضراء جوًا دافئًا يبعث الراحة في نفس المسافر، مما يُشعره بأنه وسط متاهة من السحر الأندلسي لا يبالي بالزمن مهما عجّل في خطواته. للحجز في هذا القطار:
www.alandalusexpreso.com

القطار الأسطوري في إيطاليا

فونيس سيمبلون أورينت أكسبرس

لا يختلف اثنان على أن السفر في الطائرة والتحليق في الفضاء كسب للوقت، ولكن تبقى تجربة السفر عبر القطار فريدة. فهي تدخلك في متاهات الطبيعة الخلابة، لتباغتك صور، بعضها لا تستطيع تخزينها في ذاكرتك أو ربما تبقى ولكنها تشبه الشريط السينمائي السريع جدًا الذي إذا ما ضغطت زر التشغيل تتحرك صور لا ترى منها إلا شذرات ألوان سريعة تنهال على بصرك كسرعة البرق. تليها صور رائعة تتحرك ببطء وكأنها تعبت من سباق أزلي مع الوقت لترتاح عند محطات مدن بقيت رغم كل المتغيرات التاريخية والجغرافية متشبثة بجمالها الطبيعي لتلهب الخيال الإنساني الذي يعجز عن إدراكها. وفي مدن العالم قطارات تحوّل السفر فيها إلى أسطورة تعيشها بكل حواسك، فتتمنى لو أنك لا تنزل في آخر محطاتها.

السفر في هذا القطار سوف يجعل هواة الأناقة والإبهار يفيضون سعادة ومتعة أثناء رحلتهم من البندقية إلى لندن. فالفخامة حاضرة بقوة في هذا القطار، إذ يضم مقاهي تضج بالبذخ مجهّزة بالأواني من الفضة الفرنسية، ومناديل مشغولة يدويًا وكؤوسًا من الكريستال، إضافة إلى وجود بيانو بار، ليمضي المسافر سهرة مميزة الشرط الأساسي فيها ارتداء الرجل بذلة السموكينغ الرسمية والمرأة فستان سهرة. يعبر أورينت أكسبرس فيينا وباريس وبراغ واسطنبول. للحجز: www.orient-express.com

القطار الأسطورة في روسيا ومنغوليا والصين

ترانسيبريين

لا يختلف اثنان على أن السفر في الطائرة والتحليق في الفضاء كسب للوقت، ولكن تبقى تجربة السفر عبر القطار فريدة. فهي تدخلك في متاهات الطبيعة الخلابة، لتباغتك صور، بعضها لا تستطيع تخزينها في ذاكرتك أو ربما تبقى ولكنها تشبه الشريط السينمائي السريع جدًا الذي إذا ما ضغطت زر التشغيل تتحرك صور لا ترى منها إلا شذرات ألوان سريعة تنهال على بصرك كسرعة البرق.
تليها صور رائعة تتحرك ببطء وكأنها تعبت من سباق أزلي مع الوقت لترتاح عند محطات مدن بقيت رغم كل المتغيرات التاريخية والجغرافية متشبثة بجمالها الطبيعي لتلهب الخيال الإنساني الذي يعجز عن إدراكها. وفي مدن العالم قطارات تحوّل السفر فيها إلى أسطورة تعيشها بكل حواسك، فتتمنى لو أنك لا تنزل في آخر محطاتها.

ينطلق هذا القطار من محطة لاروسلاف في موسكو ويعبر ثلث محيط الكرة الأرضية إلى أن يصل إلى الجميلة فلاديفوستوك. ينساب القطار بمحاذة بحيرة البيكال التي تبدو منبثقة من العدم وسط غابة الصنوبر السيبيرية، ليتفرع من الخط الحديدي الرئيسي الترانس منغوليان سائرًا بمحاذاة البيوت الروسية الموسرة والغابات الخضراء الدغلية، قبل اختراق السهوب التي تبدو لانهاية لها والانسياب تحت سماء منغوليا الرحبة

يواصل القطار سيره نحو بكين بمحاذاة سور الصين العظيم، فيعيش راكب هذا القطار مغامرة ماركوبولية يكتشف خلالها أسرار آسيا الكبرى والصغرى المتناثرة بين حواشي طبيعة خلابة. ينطلق الترانسيبريين من موسكو كل يوم ثلاثاء ويستغرق السفر فيه ستة أيام، أما سعر البطاقة فيبدأ من 650 دولارًا أميركيًا للدرجة الثانية.

أسطورة 'الساحة'

حوّلت المطعم إلى معلم ثقافي وسياحي عالمي

عندما تطأ قدماك هذا المكان وتتأملّ عيناك هندسته وتسمع أذناك سيرته العابقة برائحة التاريخ والتراث والجذور، تنفرج أساريرك ويغدو الزمان فرساً يحملك الى الوراء حيث تلتقي الأصالة بالحنين والعراقة بالمودّة والبساطة بالجمال... تنبثق من حكاية «الساحة» كلّ معاني المحبة والإلفة والوفاء لتدلّ على أنّ هذا المكان الإستثنائي في تاريخه وجغرافيته ليس سوى سرمن أسرار الزمان الذي ولّى دون رجعة...

حكاية «الساحة- قرية لبنان التراثية» كما يسردها المهندس المعماري جمال مكّي:

القرية تغزو المدينة للمرّة الأولى

«مشروع «الساحة» وُجد تيمناً بساحة الضيعة» لأنّ «الساحة» هي في الأساس أهم عنصر من عناصر القرية اللبنانية لكونها المكان الذي يجتمع فيه كلّ أهالي القرية بصغارهم وكبارهم ليتشاركوا أفراحهم وأحزانهم وهمومهم ونشاطاتهم... وتتميّز الساحات القروية ببيوتها المتلاصقة وحوانيتها وقناطرها الكثيرة، فكانت «الساحة» بمثابة الصورة التي عبّر عنها الأديب اللبناني الراحل أنيس فريحة في كتابه «القرية اللبنانية حضارة في طريق الزوال».

ففي المدينة احتلّت العمارات الشاهقة أمكنة الشجر والمواقف أمكنة الساحات والمولات بدلاً من الحوانيت. لذا فكّرنا في كلّ إنسان يحب أن يتمتع بجماليات القرية وخصائصها وعملنا على أن نقدّم له مناخ القرية وجوّها رائحتها ومأكولاتها وعماراتها وجميع تفاصيلها لتعود به إلى جذوره ولكي تشبع حنينه الذي كبُر جرّاء سكنه في قلب العاصمة، مركز الصخب والضوضاء والزحمة.

من هنا، أخذنا شخصية أبو أحمد- كرمز لكلّ عشّاق القرى- الذي قرّر أن يوضّب مؤونته وينزح إلى المدينة حاملاً تراثه ليغزو به المدينة تحت عنوان «لأوّل مرّة القرية تغزو المدينة». وهنا نقصد الغزو بمعناه الإيجابي أي الغزو بحب وأخوّة وحنان.

هكذا انبثقت إذاً القرية من حنين أبي أحمد - فلاح القرية- الذي قصد المدينة ليزرع فيها مرابع طفولة لا تُنسى: العين ودرب العين، الكروم ودرب الكرم، المصطبة والسطحية المسوّرة بتنكات عتيقة صدئة فيها الحبق والقرنفل والفلّ والسهرات الحميمة البريئة تحت العريشة. فجاءت قريته متحفاً حيّاً للبيئة التقليدية بعمرانها وأنماط الحياة فيها والأدوات القديمة المستعملة في كافة الأنشطة اليومية على اختلافها».

أبعاد مشروع «الساحة- قرية لبنان السياحية»

يُعدّد المهندس جمال مكّي أبعاد المشروع الآتي:

١**- البعد البيئي:** استخدمنا في بناء الساحة أحجار العمارات والبيوت القديمة التي جُرفت ورُميت في البحر من أجل تشييد عمارات حديثة في مناطق متعدّدة من لبنان، وفي الواقع كان وجود كلّ هذه الكمية من الأحجار الكبيرة والضخمة في بحر لبنان سيُشكّل مشكلة بيئية خطيرة لأنّ هذا النوع من الحجارة لا يُمكن أن يتفتّت في البحر. من هنا عملنا على الإستفادة من جودة هذه الحجارة التراثية وفي الوقت نفسه أنقذنا البحر من جريمة كانت تُرتكب بحقه دون أي مراقبة أو اهتمام.

٢**- البعد الإنساني:** يعود مشروع الساحة إلى جمعية «المبرّات الإسلامية» وعلى رأسها السيّد محمد حسين فضل الله، ممّا يعني أنّه يعكس الخلفية الثقافية للحركة الإسلامية المعاصرة المنفتحة على الحداثة والعصر. كما أنّ الأرباح تعود إلى أيتام المبرّات.

٣- **البعد الإجتماعي:** نجحت الساحة في أن تجمع كلّ الفئات الإجتماعية بكلّ هذا الموزاييك العربي والإجنبي.

٤**- البعد الثقافي:** يُعدّ هذا المشروع بمثابة رسالة تدعو أولاً إلى إحياء التراث المعماري الأصيل، كما يُقدّم

نموذجاً حيّاً للحياة القروية من خلال المتحف، بالإضافة إلى إقامة سهرات تستضيف أدباء وشعراء ومثقفين لبنانيين وعرباً من خلال بيت الشعر العربي.

٥- **البعد الإقتصادي:** ساهم هذا المشروع الذي أقيم في منطقة غير مصنفّة سياحية في تنشيط كلّ المكان الذي يُحيط به بكلّ ما يتضمنّه من مشاريع، كما أدّى إلى تشغيل أيدٍ عاملة كثيرة. وهذه الأبعاد كلّها تضافرت لتُشكّل أخيراً البعد السياحي.
٦- **البعد السياحي:** يُعتبر المشروع مساهمة فعّالة في قطاع الخدمات السياحية بأنواعها المتعددة، لما يتضمنه من خصائص ونشاطات تجتذب إليها كلّ فئات المجتمع محليّاً وإقليمياً ودوليا».

رحلة «الساحة» من بيروت إلى العالم
عن «الساحة» وكيفية زحفها السريع نحو عدد من العواصم العربية والغربية،أخبرنا مكي أنّه «بعد النجاح الكبير الذي حقّقه مطعم الساحة في لبنان والطلب الشديد من اللبنانيين المغتربين والسيّاح العرب والأجانب الذين كانوا يأتون خلال مواسم الصيف والأعياد إلي لبنان ويقصدون الساحة ليسرقوا من الزمن لحظات تُرجعهم إلى عراقة الزمن الجميل والتراث الأصيل، فكّرنا في أن نسمح للفلاّح اللبناني أبو أحمد بأن يُكمل نزحه صوب باقي العواصم العربية ليزرع جمال قريته في كلّ مكان. هكذا، بدأنا الرحلة الأولى في قطر إلى أن وصلنا أخيراً إلى لندن».

«الساحة» في قطر وزيارة مفاجئة لأمير البلاد»
في السنوات الأخيرة «شهدت دولة قطر تطوراً كبيراً ونموّاً لافتاً نتيجة التحوّل الذي حصل فيها على مستوى النفط والغاز، اذ زادت فيها الاستثمارات وازدهرت فيها الكثير من القطاعات الاقتصادية والعمرانية والسياحية... هذا الأمر جعلنا نفكّر في افتتاح أوّل فروع «الساحة» خارج لبنان في عاصمتها. وبعد أقلّ من أسبوع على الإفتتاح شرّفنا أمير البلاد الشيخ حمد وزوجته الشيخة موزة وعائلتهما بزيارة المطعم وعبّروا لنا عن إعجابهم بالمشروع خصوصاً أن الأمير من محبّي الأجواء التراثية. وهذه الزيارة زادت حجم مسؤوليتنا ولكن سرعان ما أصبح المطعم مقصداً لكبار الشخصيات ورؤساء الدول، علماً أنّ المنطقة التي بُني فيها بناء المطعم غير مصّنفة سياحية إلا أنّ الساحة أضفى عليها طابعاً سياحياً نوعاً ما».

«من قطر باتجاه السودان»
ويُضيف المهندس: «قبل حوالي ثلاث سنوات نصحنا صديق سوداني في قطر بأن نفتتح فرعاً آخر لمطعمنا في السودان، خصوصاً أنّها تشهد نهضة عمرانية كبيرة. فدرسنا من جهتنا المسألة من كلّ جوانبها ورأينا أنّ هناك استثمارات جديدة تشجّع على تنفيذ الفكرة، كما أنّه في المقابل هناك حاجة أساسية إلى إنشاء مشاريع ذات بعد سياحي في بلد مثل السودان ينقصه الكثير من المطاعم المهمة ليلتقي فيها السيّاح وضيوف البلد

لهذه الإعتبارات اتخذنا قرار انشاء فرع جديد للساحة في الخرطوم وسط دهشة البعض ورفض البعض الآخر. ومنذ افتتاح المطعم في السودان عام ٢٠٠٧ أصبح من أهم الأمكنة على مستوى البلد ككلّ، والحمدلله كان من أنجح مشاريعنا وصار مقصداً لكلّ الرؤساء والسياسيين والدبلوماسيين الذين يزورون السودان.

«إلى العالمية... الساحة تستقرّ في لندن»

بعد النجاح الأوّل والثاني «اتسعت طموحاتنا وصرنا نفكّر في العالمية ووجدنا أنّه علينا إيصال قرية لبنان التراثية إلى العالمية خصوصاً في ظلّ الطلب الكبير عليها من كل الدول. وكان لا بد من إيجاد تسويق للساحة في بلد غني بالتنوّع والثقافات الموجودة على أرضه، ولأننا متجهون صوب العالم بأسلوب Franchise أو «بيع امتياز»، قرّرنا أن تكون لندن مقرّ «الساحة» الأوّل في العالم الخارجي لأنّها العاصمة الأكثر قدرة على تسويق «الساحة» عالمياً عبر الإستفادة من التنوّع الكبير الموجود فيها، إذ تضمّ ١٩٠ جنسية على أرضها. ولقد اخترنا أن يكون عمران كلّ فرع من فروع الساحة خارج لبنان منسجماً والنسيج الإجتماعي للبلد الموجودة فيه احتراماً لواجهة المنطقة العمرانية. وفي لندن التزمنا بالنسيج العمراني للمدينة بحيث بدت واجهة الساحة مشابهة لكلّ واجهات المباني في الحيّ اللندني القديم «ميوز». أمّا التراث اللبناني فهو موجود في الداخل. وهنا لا بدّ من الإشارة إلى أنّ العمران التراثي العربي الإسلامي

القديم يتميز بهندسته الداخلية، لذا فإنّ الإلتزام بالنسيج العمراني لأي بلد من ناحية هندسة المطعم الخارجية لا يُؤثّر في مناخه التراثي اللبناني الأصيل الذي تجده في الداخل.

ويمكن تلخيص فكرة المطعم العمرانية في أنّها عبارة عن حيّ محاط بحارتين متواجهتين ضمن ساحة مشتركة تجمع الحارتين تجد فيها أسواق وحوانيت ومصلّى... وكان افتتاح الساحة في لندن مهيباً إذ حضره الكثير من الشخصيات الإنكليزية واللبنانية، كما صودف وجود وزير السياحة اللبناني إيلي ماروني. وكذلك قصده المنشد البريطاني المسلم سامي يوسف وأخبرنا أنّه بحث عن المطعم كثيراً قبل أن يصل إليه لأنّه من عشّاق الأبنية التراثية، وانبهر حقيقة بهذا الغنى المعماري للمفردات الهندسية العربية والإسلامية. وأحيا فيه حفلة أنشد خلالها أجمل أغنياته الإسلامية المعروفة وعبّر لنا عن رغبته في أن يكون «الساحة-لندن» عبارة عن نقطة تزاوج الفنّ والمعمار لأنّه يطمح إلى أن يُقيم معظم نشاطاته الفنية في هذا المكان بالذات حيث يُمكن للأغنيات الإسلامية أن تلتقي والفن المعماري التراثي الإسلامي.
ولا أخفي أنّ انطلاقة الساحة في لندن كانت من أقوى انطلاقاتنا، إذ جذب المطعم في أيام افتتاحه الأولى عدداً كبيراً من الزبائن الذين قصدوه من مختلف أحياء لندن، علماً أنّ ٧٥٪ من الحضور هم بريطانيو الهويّة والأصل. وهذا أفضل ردّ من العالم العربي الإسلامي للتأكيد على أنّ شعوبنا هي شعوب حياة ومحبّة وفن وجمال، خصوصاً أنّ الأحداث الأخيرة المتواترة في العالم أدّت إلى تصوير المهاجرين المسلمين والعرب على أنّهم لا يندمجون في المجتمعات الغربية. من هنا كان هناك رسالة واضحة ومباشرة من خلال افتتاح الساحة في لندن لتكريس فكرة جديدة ومغايرة للأفكار المعلّبة عنّا كعرب ومسلمين، فأظهرنا أننا قادرون على صناعة وتصدير كلّ معاني الفن والجمال ومستعدّين للإنفتاح على الثقافات الإنسانية والمعمارية الأخرى».

من خصائص قرية أبو أحمد التراثية

- **مطعم الضيعة:** تلمس فيه حسن الضيافة والخدمة وتتذوّق أشهى المأكولات على أنواعها الشرقية والغربية.
- **بيت الشعر العربي:** منتدى ثقافي يُشكّل ملتقى للشعراء والأدباء، وهو خامس بيت شعر في الوطن العربي لإقامة الأمسيات الشعرية.
- **المتحف التراثي:** متحف الساحة يُشكّل معلماً أثرياً يسرد حكاية القرية اللبنانية بأسلوب عصري يستخدم مجسمات متحركة تعكس صورة لماضي القرية اللبنانية وأدواتها ومهن أهلها. إنّه بمثابة نموذج حيّ للقرية اللبنانية الأصيلة. وفي المتحف نجد أعتق الأثريات من أسلة وفخاريات وزجاجيات وعملات وغيرها.
- **الخان- فندق الساحة:** في الفندق الفريد في تصميمه هناك ٦١ غرفة ترسم لوحات عمرانية تراثية ونُفّذت وفق أسلوب وعمارة مستوحاة من مختلف الحضارات العالمية (الطراز اللبناني، الطراز الهندي، الطراز الياباني، الطراز المغربي، الطراز الإنكليزي، الطراز الباكستاني...). كما يتميّز الفندق بموقعه، فهو يقع على مسافة دقيقتين من مطار رفيق الحريري الدولي الذي يُعتبر الشريان الحيوي لمدينة بيروت، وعلى مسافة دقائق معدودات من وسط بيروت.

إجازة في إسبانيا

أنسييرّو، رياضة الجري الفائق السرعة وإلا!

فيما يخطط الكثيرون لإجازة فيها الكثير من الاسترخاء والتأمل، نجد البعض يرغب في إجازة يُخرِجون خلالها كل توترهم والضغط الذي يكبتونه في حياتهم اليومية. فيخططون لرحلة سياحية تضج بالمغامرة والمجازفات والمشاعر القويّة التي ترفع معدّل الأدرينالين لديهم إلى حدوده القصوى، لتبقى في ذاكرتهم يروون أحداثها وتفاصيلها لأصدقائهم وأقاربهم بكثير من الحماسة وإن بعد سنوات.

ليس أطرف من أن تشاهد أو تشارك آلاف الأشخاص في الركض هربًا من الثيران المنفلتة في الشوارع الضيّقة لمدينة بامبلونا Pamplona في أسبانيا. رغم طرافة المغامرة وتحدّياتها فإنها لا تخلو من الحوادث التي يمكن أن تحصل إذا ما جعلت قرني الثور يلامسانك. فمنذ أن جعل الأديب الأميركي أرنست همنغواي هذا التقليد مشهورًا عالميًا، أصبحت أنسييرو أو الركض أمام الثيران رمزًا للرجولة. تقام تقاليد تظاهرة الثيران هذه بين ٧ و١٤ تموز/ يوليو، حين تفلت الثيران من الزرائب عند الثامنة صباحًا، وعلى المشاركين أن يكونوا على أهبة الاستعداد عند الساعة السابعة والنصف صباحًا، ومن غير المسموح إطلاقًا التوقف عن الركض بعد انطلاق الإنسييرو. إذا لم تكن عدّاء سريعًا عليك أن تتجنّب هذه المغامرة وتكتفي بالمراقبة.

فلورنسا... مهد النهضة الإيطالية والأوروبية

ومدينة الفن والأدب والسياسة

فلورنسا مهد النهضة الإيطالية والأوروبية حيث حلّق الإبداع الفني والفكري، لينفض عنه رماد عصور الظلام. إنها مدينة نيقولا ماكيافيللي صاحب كتاب «الأمير»، ومدينة اليغياري دانتي مؤلف «الكوميديا الإلهية». وهي المدينة التي تفتقت فيها عبقرية مايكل أنجلو الذي قال عندما انتهى من منحوتته الشهيرة «موسى» «أنطق يا حجر». لو كان مايكل أنجلو حيًا اليوم لرأى أن التاريخ المحتشد في فلورنسا ينطق رغم الصمت ويراقب رغم حركة العصر التي تنساب بين أروقته، تارة بخفر وأخرى بدهشة. كل هؤلاء ظهروا على صفحات ذاكرتي عندما أخبرتني زميلتي كارول أنها ستمضي إجازتها في فلورنسا. فانتظرت عودتها بفارغ الصبر كي تحدّثني عن هذه المدينة معقل الفن والأدب والسياسة...

الانطباع الأوّل: فلورنسا مدينة لا يغفل لها جفن

انهالت أسئلتي الفضولية على كارول التي حدّثتني قائلة: «وصلت إلى فلورنسا مساءً وكانت المدينة قد ارتدت ثوبها الليلي المزركش بأنوار الفضة رغم برد كانون الثاني/ يناير القارس. للوهلة الأولى شعرت بأنني في مدينة لا يغفل لها جفن ، حسناء إيطالية مفعمة بالحياة وتتحدى دوران الأرض. ليلها يشبه نهارها، تنثر بأناملها الرقيقة كل الترف الإيطالي، وكأن بالزمن يخجل من رسم تجاعيده على وجهها، بل يطلق لها العنان للاحتفاظ بنضارة شبابها.

ولو لم أكن اشعر بتعب السفر لما فوّت مشاركة فلورنسا حركتها الليلية في أمسيتي الأولى».
أضافت: «عند الصباح استفقت على أصوات ظننتها في البداية أناشيد صباحية ولكن لم يكن الأمر كذلك، بل كانت تحية الصباح يتبادلها أصحاب المقاهي والبوتيكات.
لاحظت أن اللغة الإيطالية إيقاعية فعندما يتحدّث ناطقوها تظنين أن فرقة زجل تتبارى في إطلاق الأبيات الشعرية باللغة العامّية. قلت لأختي هيّا بنا نعيش المغامرة الإيطالية من ألفها إلى يائها.
ولحسن حظنا أن بيت صديقتنا الإيطالية التي استقبلتنا يقع في وسط المدينة. نزلنا إلى المقهى الموجود في أسفل المبنى وطلبنا فنجان القهوة الإيطالي الأشهر كابوتشينو، وكان النادل ظريفًا تغلب عليه طباع سكان البحر الأبيض المتوسّط لا سيّما الشرق الأوسط، فهو عندما يتحدّث لا يحرّك شفتيه فحسب بل تلاحظين أن يديه وعينيه وكل شيء فيه يرافق حركة شفتيه. فأدركت وأختي رانيا أن إجازتنا في فلورنسا سوف يكون لها طعم فريد».

وسط المدينة متحف تحتشد فيه الأعمال الفنية في الهواء الطلق

تتابع زميلتي روايتها: «انتهينا من الكابوتشينو وبدأنا التجوال في أحضان العالم الفلورنسي.

لم نخش التيه في فلورنسا رغم أن سكانها لا يتحدّثون سوى الإيطالية، ولكن الطريف أنك عندما تسألين يبذلون مجهودًا كبيرًا من دون تأفف ليجيبوك أو يرشدوك إلى المكان الذي تودّين الذهاب إليه. ومن الأمور الطريفة التي حدثت معي أنني سألت أحد المارة عن أحد الأمكنة قائلة: "is it close" وكنت أعني هل هو قريب؟ فجاوبني "no it s open" وحاولت قدر المستطاع شرح ما أعنيه.
المهم يمكن القول إن وسط المدينة متحف تحتشد فيه الأعمال الفنية في الهواء الطلق. كل هذا جعلني أتساءل كيف استطاع فنانو ذاك الزمان بناء هذه التحف المعمارية العملاقة التي تنم عن شغف لا حدود له بالفن، حتى كاميرتي الرقمية لم تستطع عدستها استيعاب ما تصوّره فكأن الفن يسابقني ويتحداني. فما أن أحاول ضغط الزر لألتقط مشهدًا رائعًا ينبثق خلفه مشهد يضاهيه فنًا وروعة. كنت أسير وأختي مندهشتين بكل ما تراه عيوننا، إلى أن داهمنا الجوع فاسترحنا في أحد المطاعم لتناول الغداء.
بالفعل في فلورنسا لا يمكن أن تقرّري الطبق الأطيب فكل أنواع الأطباق لذيذة إلى درجة تشعرين معها بالشراهة وتنسين مسألة الحمية. هل تصدقين أننا كنا ننتظر مواقيت وجبتي الغداء والعشاء بفارغ الصبر!

بالفعل الأطباق شهية جدًا في فلورنسا و لا يمكن تفويتها. الطريف أننا دخلنا إلى مطعم تصدح فيه أغنيات فيروز فتساءلت وأختي بصوت عالٍ هل هذا مطعم لبناني؟ وإذا بصوت يرّد نعم إنه كذلك».

بين رواق فساري وحدائق بوبولي كل أسرار فن عصر النهضة

بعد وسط المدينة سرنا في شوارع المدينة وذاكرة التاريخ تحدّثنا عن نفسها في كل زاوية ورواق. فرواق «فساري» الذي كان يتسلل منه الأمير هربًا من محاولات الاغتيال، ليس مجرّد رواق بل تحفة فنيّة تثير فيك رغبة الهرب ليس من المتآمرين بل من مدن عصرية باردة إلى دفء تاريخي يشعرك بعظمته. وعلى يسار نهر أرنو ساحة ديل ديمو حيث تقوم كاتدرائية سانتا ماريا دل فيوريه مطوّقة بقبّة ضخمة مثمّنة الزوايا من تصميم برونولتشي ومنقوشة ببرج رسمه جيوتو.

بينما بالاتسو فيتشيو أوّل قصر ملكي يعلوه جرس يبلغ ارتفاعه ٩٤ مترًا يشرف على بيازا ديللا سنيورا حيث توجد لا لوجيا دي لانزي التي كانت قاعة الاجتماعات ومركز الاحتفالات العامة، تصطف فيها المنحوتات البرونزية من أعمال بينفينو سيلليني. وبين بالازيو فيشتيو وجسر أرنو يقع متحف أوفيتسي الذي تعرض فيه أروع اللوحات التي جمعتها عائلة ميديتشي التي حكمت فلورنسا في القرن السادس عشر.

وعند جسر فيكيو الذي قاوم همجية الحرب العالمية الثانية التي دمّرت جسور فلورنسا السبعة، شعرنا أنا وأختي برهبة التاريخ الذي يترك دائما شاهدًا على أحداثه. تنتشر على طرفي الجسر المتاجر القديمة.

وكم كانت جميلة الاستراحة في حدائق بوبولي أروع حدائق إيطاليا حيث النوافير والمنحوتات الفنية تحتشد في المكان، فما كان منا إلا تسلق المدرج حتى قمته لنستمتع بمشهد بانورامي لفلورنسا الساحرة لحظة الغروب.

عدنا أدراجنا إلى البيت وسحر النزهة الذي تغلغل في فكري جعلني أغط في نوم عميق لأستفيق في اليوم التالي والحماسة تجتاحني للذهاب إلى بيزا التي تبعد عن فلورنسا حوالى ساعة بالسيارة».

في برج بيزا المائل درس غاليلو قانون سقوط الأشياء

«لم أشعر بالملل أثناء الرحلة إلى بيزا فالمشاهد الطبيعية الخلابة كانت كفيلة بحرق المسافة الزمنية التي تفصلني عن هذه المدينة المشهورة ببرجها المائل. هنا تتكرر المشاهد وروائع عصر النهضة تتبارى في إدهاش زائري المكان. تشارك بيزا فلورنسا نهر أرنو، والتجوال فيها يعطي انطباعًا بأنها عاصمة صغيرة فقدت مع الزمن نشاطها المبالغ فيه، ورغم ذلك فإن سحرها يكمن في فضائها الأرستقراطي وأسلوب حياة سكّان البحر الأبيض المتوسّط. يمكن القول إن بيزا محاطة بأسوار تخترقينها من الشمال إلى الجنوب عبر شارع رئيسي تنتشر على جنباته المتاجر، فالجهة الجنوبية حيث الطريق العام كورسو إيطاليا، أما في الجهة الشمالية فالطريق ضيقة تحيطها الأقواس معروفة ببورغو ستريتو.

وفي ساحة بيازا داي مياراكولي أو ساحة العجائب تقع كاتدرائية سانتا ماريا يظهر خلفها برج بيزا المائل بكل أبهة ليدهش زوّار المكان. ويقال إن العالم الفيزيائي غاليلو، وهو ابن بيزا وعاش في القرن السادس عشر، كان يأتي إلى هذا البرج ليراقب النجوم ويدرس قانون سقوط الأجسام وانتظام سرعة الحركة. هنا في هذه الساحة تلتقين الناس الذين جاؤوا من كل أنحاء المعمورة ليلتقطوا صورة خادعة تظهر أنهم يمنعون البرج من السقوط. وتنتشر في الساحة المقاهي والبوتيكات التي تعرض إما التذكارت أو منتجات أرقى دور الأزياء الإيطالية.

بعد هذه الزيارة الفريدة من نوعها عدنا إلى وسط فلورنسا التجاري حيث أطلقت العنان للتسوق وعشت تجربة الحصول على أهم الماركات بأسعار مغرية خلال موسم التنزيلات».

سيينا بلدة وديعة تدعوك إلى مغامرة ريفية إيطالية

«قبل العودة إلى لبنان بيومين ذهبنا إلى سيينا، وهي بلدة قديمة تسكن عند قمة الجبل. أشعر بأنني عاجزة عن وصف هذه البلدة الوديعة، فالطريق إليها كانت معبّدة بالأخضر بكل تدرّجاته وأشكاله. وصلنا إلى أقدام هضبة وصعدنا سلمًا كهربائيًا رمانا وسط سيينا حيث تحتشد بيوت القرميد والأبنية المشيّدة على نمط الفن القوطي يغلب عليها ألوان الأصفر الترابي.

يخيم على البلدة السكون فتظنين أن الحركة تزحف ببطء بين أزقتها الضيّقة وكأنها تدعوك إلى مغامرة ريفية إيطالية ، إلى أن يطالعك برج بالازو بابليكو وكاتدرائية بلاك أند وايت اللذان يشرفان على البلدة ويمكن رؤيتهما من مسافة كيلومترات».

ختمت كارول حديثها عن مغامرتها الإيطالية بالقول: «رغم أنني كنت في اليومين الأخرين لوجودي في فلورنسا شبه مفلسة لم أنزعج أو أتذمر، فهذه المدينة جعلتني مغمورة بالغبطة إذ يكفي أن تتجوّلي في شوارعها وأزقتها وتتعرفي إلى التاريخ المتناثر في كل أرجائها وتلتقي ناسها وتشعري بالدف رغم البرد في هذه الفترة من السنة، حتى تشعري بالفيض الروحي والفكري وتنسي كل هموم العمل وبرودة الحياة العصرية».

مدينة الصيادين لوغانو

عراقة الأوقات بتوقيت الساعة السويسرية

إلى زمن ال«دولتشي فيتا»، نزهة خيال هادئة وهائلة في مدينة الصيادين لوغانو. مدينة سويسرية تقع في جنوب مسقط رؤوس المبدعين مسيّجة بالجبال وترتوي من بحيرة سيريزيو. مدينة فاتنة بقامة «لوليتا» تقع عند الحدود الإيطالية ضمن القسم الناطق بالإيطالية منذ العام ١٨٠٣، تيتشينو. هي مرفأ الصيادين الصغير طوال قرون الذي بات أهم موقع سياحي سويسري طوال العام، لوغانو معقل جمالٍ طوقته الجبال. لوحات حيّة رسمتها طبيعة لوغانو بنكهة القهوة الإيطالية والشوكولا.

من مطار ميلانو-مالبنسا (على بعد أقل من ساعة من لوغانو) يبدأ المشوار. يوم إستثنائي في ميلانو فكرة رائعة لتفقد عاصمة إقليم لومبارديا الإيطالي. فليس منطقياً أن تطأ قدما المرء أرض ميلانو دون التماهي مع عناق الإبداع الفني، الموضة والعمارة التاريخية.
لا بد من التنقّل تحت شمس ساحة Piazza del Duomo (التي شهدت حادثة ضرب رئيس الوزراء الإيطالي سيلفيو برلسكوني أخيراً) وزيارة مسرح La Scala التاريخي ومن ثم الإنصراف إلى متعة التسوّق في المتاجر الفاخرة. أما لدى الوصول إلى لوغانو، فلن يواجه السائح صعوبة في إكتشاف لغز الطبيعة العذبة. إذ يحظى بفرصة القيام برحلات محلية، فمطار لوغانو-أنيو على بعد دقائق قليلة من وسط المدينة وهو مرتبط بمطارات زوريخ وجنيف وروما.

يقع في منطقة أنيو Agno على مسافة ستة كيلومترات من المدينة، وفي وسع الزائر أن يقرر السفر عبره قبل ٢٠ دقيقة من إنطلاق الرحلة.

خطوات في شوارع لوغانو

مسيّجة بالجبال التي إقتربت لترتوي من بحيرة Ceresio، مدينة المشاة تغلق طبيعتها على التاريخ بمبانيها الدينية وشرفاتها المترفة بالزهور وفنها الخيالي. تقع لوغانو جنوب منطقة Monte Ceneri. تقدم في كل موسم خياراً للمتعة عبر سبل التنقل، القطارات والقوارب والباص والتلفريك وحتى الطائرة. وهنا سرعة تفقّد المكان وإكتشاف الروعة والسفر عبر القرون والعقود لمعرفة التيارات الفنية، فلوغانو أرض خصبة بالخضرة والتضاريس الفاتنة والفن. تكتنز كنائسها ومبانيها النيو-كلاسيكية التاريخ وتحتبس ثقافته بترف. هنا الرسم الجصّي Fresco العائد إلى القرن السادس عشر، وهنا زخرفات برناردينو لويني تلميذ ليوناردو دا فينشي التي تعود على العام ١٥٢٩. هنالك كاتدرائية سان لورينزو التي تحمل بصمة النهضة الأوروبية في مهدها. وتدعوك ذاكرة الفن إلى ساحة ديللا ريفورما Piazza Della Riforma المزدحمة التي تثير الرغبة في إحتساء فنجان إسبريسو أو كوب كابتشينو في مقاهٍ آهلة بالأجواء المتوسّطية.

إلاّ أن التسوّق في لوغانو تحكمه قواعد برجوازية، فنهار هذه المدينة بعمر الزهور التي تفترش وسط المدينة وكل أنحائها خصوصاً Via Nassa، مركز التسوق و Via Pessina الشهيرة بمقهى Grand Café Al Porto.

محميّة مسيّجة بالجبال

على ضفاف بحيرة Ceresio وفي ضيافة ترف الطبيعة المتراصة، يستحم جبل Monte Brè. وهو النقطة الأكثر سطوعاً في سويسرا. تلمس في قرية القرميد «بري» السكون النفسي والبساطة المنفصلة عن واقعية البصر. وباستطاعة الزائر القيام برحلات على القدمين في الطبيعة التي تستعيد مع كل إشراقة الأعمال الفنية في المتاحف الواقعة في وسط المدينة، ومن ثم تناول الغداء في مطعم Osteria تحت ظلال الصنوبر الشفافة. كما يدعوك متحف القرية إلى إلقاء النظر على لوحات الفنان السويسري ويليام شميد التي تجسد «الواقعية العجائبية» Magic Realism. خضرة «مونتي بري» الغنية، أشجار الكستناء والسنديان والبلّوط والبتيولا والزيتون السانحة للتماهي مع الطبيعة، هي سمات واجهته الجنوبية والمحطات المؤدية إليه (كاستانيولا وغاندريا). تشكّل الطبيعة والمواقع الخلابة والنصب التاريخية الثروة الفدرالية السويسرية والقيمة الوطنية المرتبطة بالخصوصية الجيولوجية والنباتية وفن العمارة.

إنطلق من «مونتي بْري» في نزهة مغامرة عبر الممرّات الضيّقة التي تأخذك إلى ماتروني في جبل بوغليا (١٥١٦ م) المؤدي إلى Capanna Pairolo وDenti Della Vecchia،وAlpe وBolla (١١٢٩م) وPedra Grossa (٨٠٩ م) حيث أحراج الزان الزاهية. إختبر متعة ركوب الدراجة والإنطلاق إلى الجبال والقمم التي يصل إرتقاعها إلى ٢٠٠٠ متر. سياحة ذكية في قسم من لوغانو إنطلاقتها عند أسفل جبل Monte Bré حيث الميناء التاريخي.

نظرة شاهقة على لوغانو

من بلدة كاساراتي Cassarate نصعد إلى جبل مونتي بْري، مشهد رائع يطل بنظرة شاملة على لوغانو التي أنارتها البحيرة بهالة وسطية وبثت الحياة فيها، كذلك تطلّ على سلسلة جبال الألب الواقعة في العاصمة السويسرية برن ومقاطعة فاليز. أما الوصول إلى جبل مونتي سان سالفاتوري، فهو عبر المنطقة الواقعة على بحيرة ceresio، كذلك جبل سان جيورجيو الذي يكتنز نقوش حيوانية تعود إلى العصر الترياسي (الثلاثي) مما جعله على لائحة معالم التراث العالمي في الأونيسكو. كما يمكن تناول العشاء في مطعم Lema Vetta Monte المطل على بحيرة لوغانو ولومبارديا.
هذه الجبال ينضم إليها Monte Generoso الذي يشكّل نافذة لرؤية بانورامية على تيتشينو، السبيل إليه ركوب القطار من منطقة Capolago.

أما قمة جبل Monte San Salvatore فمجهزة بمناظير، دعوة للدهشة ورؤية لوغانو والأراضي الإيطالية عن بعد عمودي. وتحفر أودية مالكاتون الواقعة بين بحيرة لوغانو وجبل مونتي ليما سحراً خرافياً، فهي تنتشر بين القمم البانورامية زالمياه الفيروزية وتلحق بمجرى نهر ماغليازينا المتدفّق من مونتي ليما (١٦٠٠ متر). تستضيف بلدة ماكاتون السائح بين أحضان البحيرة وخليج أنيو ونهر تريزا وتشرف على المرتفعات الفاصلة بين سويسرا وإيطاليا.

مدينة المنتزهات

لوغانو فاكهة أنضجتها بحيرة Ceresio والطقس اللطيف، فتفتحت الورود والأزهار النادرة ذات الأريج الساحر الذي يصيب بدوار حالم. زاوية من الجنة، خضرة إستوائية تتعانق مع البرودة ويمسي التناقض اللوني بين الأبيض والأخضر. نزهات وبانوراما أفقية تسبح بها الخيال التي سرعان ما ترتقي لحوار الجبال والتلال الحاضنة للبحيرة. ويطفو متنزه Ciano على ضفاف البحيرة التي تمارت بخضرته منذ العام ١٨٤٥، والتي ترسم حدودها أشجار «كستناء الحصان» حيث يتنصب البطل الأسطوري غيليوم تيل . ففي هذا التاريخ إشترى الأخوان Ciani- ثريان من ميلانو- المساحة التي باتت اليوم المنتزه لكنهما واجها مشكلة الفيضان الدوري لنهر كساراتي كذلك إرتفاع منسوب البحيرة مما أدّى إلى أضرار كبيرة. عام ١٩١٢ إشترت مدينة لوغانو المنتزه بمليون ونصف المليون فرنك.

وهي اليوم من أجمل المنتزهات السويسرية الحاضنة للأشجار البلوط والزيزفون والدّلب والتوت البرّي، إضافة إلى النخيل والزيتون والكاميليا والفلّين والأزادرخت وحتى الكافور. أما قوة الجذب في المنتزه، فهي الأزهار المزروعة على محاذاة البحيرة والتي تجسّد إنفجاراً لونياً مترفاً بسحر الطبيعة المتآخية وبوابتها المشرفة بصفاء على إلتقاء البحيرة بالسماء. أما متنزه Parco del Tassino الذي يبعد دقائق معدودة عن محطة قطار لوغانو، فهو كان ملك عائلة إندلين الثرية، وكان في السابق ميداناً للصيد وتحوّل في القرن العشرين إلى فندق.

لكن لاحقاً أمست الأرض ملك إتحاد سكك الحديد الذي باع قسماً منها (٢١ ألف متر مربع) إلى مدينة لوغانو التي صانت ذكريات المتنزه ونسبت برجه إلى عائلة Enderlin. ويعتبر المتنزه المكان الأمثل لجلسة «بيك-نيك» أوروبية وأرستقراطية في قلب الطبيعة التي يتنقّل في مرتعها الأيل الأسمر والأروية.
كما يباغت البصر بألوان زهوره الهجينة، القرانية اليابانية والوستارية الصينية وشجر الورد المتسلّق. وقد جادت لوغانو في إقتناء التاريخ حين إمتلكت عام ١٩٧٦ فيللا نيغروني - جوهر الحياة الإجتماعية السويسرية الغابرة- لقاء أكثر من أربع ملايين فرنك عام ١٩٧٦ علما أنها إستضافت كبار الشخصيات السياسية والفنية والثقافية في القرن التاسع عشر.

وقد تحوّلت إلى متنزه يحمل صفة التناغم بين الحديقة الإيطالية ولمسة الفن الإنكليزي. وتحاكي أعجوبة الطبيعة مفاجأة فنية لذوّاقة الموسيقى الكلاسيكية العالمية، فمهرجان Festival jazz هو التظاهرة واللقاء الفني الأبرز الذي تستضيفه لوغانو، حيث يمتزج التراث بالسحر طوال خمس أمسيات تصهر الجمهور بأجواء الإحتفالية الراقية تحت سماء مرصعة بالنجوم.

معقل التجارة والذواقة والفخامة

لوغانو هي المركز المالي الثالث في سويسرا حيث أكثر من مئة مؤسسة مصرفية. هنا التنوع والراحة والحلم وإثارة حواس كل الذوّاقة. هنا الساعة السويسرية العريقة تستقيل من الزمان وتضبط على وقع لحظات خالدة مدى الأيام. هنا الترف والبساطة، إبداع مصممي إيطاليا وزائر الليل لن يفتقد متعة السهر في المقاهي وتلبية إنذار الشهية للأطباق المقتبسة عن المطبخ الإيطالي خصوصاً ال«ريزوتو» وال«بولينتا» بالذرة، إضافة إلى أجبان المراعي الجبلية المحيطة، والشوكولا الفاخرة طبعاً التي حافظت على مكانتها رغم الأزمة المالية العالمية، بل وسجلت إرتفاعاً قياسياً في حجم مبيعاتها.

ولا تحلو الإجازة السويسرية إلاّ بصباحات البحيرة التي يطلّ عليها فندق Splendide العريق، حيث كتب الأديب العالمي لويجي بيراندياللو أجمل قصائده حين كان نزيله عام ١٨٩٦. كذلك يشرف على جبلي مونتي بري وسان سالفاتوري. أما فندق Eden، فإلى جانب موقعه المباشر على البحيرة يمنح نزلاءه متعة منعشة ورومانسية ساكنة يرسيها المحيط، التلال الخضراء

كامبيوني الإيطالية على مسافة خطوة

بلدة إيطالية على بعد دقائق من لوغانو التي يفصلها عنها البحيرة وعدد من الجبال والمناطق السويسرية. وهي تابعة إدارياً لسويسرا ومشهورة بناديها Casin di Campione The الموقّع من المهندس المعماري الشهير ماريو بوتا، وجلساتها الشعبية حيث يمكن تذوّق «الشوكولا شو». تستحق هذه البلدة أن تكون مسك ختام رحلة أوروبية إستنفدت كل الحواس. فلا بأس بجرعة بساطة إيطالية وعفوية الحياة التي تغيب عن لوغانو، معقل البرجوازية والتوقيت الدقيق.

لوحة حالمة

«هنا الشمس مشرقة ودافئة. هنا تنبت فاكهة الشتاء، الكستناء والدوالي وأشجار اللوز والتين. هنا الشعب لطيف ويبادلك الإحترام بإنحناءة»، يقول هيرمان هيسيه الأديب والشاعر والكاتب والروائي الألماني الذي توفي في سويسرا، والحاصل على جائزة نوبل للآداب. توفي في مونتانيولا على تلة Collina d'Oro المطلة على بحيرة لوغانو الرائعة، المكان الذي ختم به مغني البيتلز جورج هاريسون حياته.

هذه الأخيرة تشعرك ببساطة سمو الطبيعة، وبأغنيات فيروز حين يطالعك بكاء اللؤلؤ الدافء على قمم الألب السويسرية. سلام الطبيعة هنا حيث الطيور تحوم بجناح ثلجي تبحث عن صيادي الأمس، هنا حدود الأفق يسجننا في لوحة أو «كارت بوستال» سياحي حي، في كرة بلور إستقالت من الوجود الصاخب

مقدونيا وطن الإسكندر الكبير

البلقان الذي ينبض بسحر الشرق والغرب

مقدونيا هذه البلاد الجميلة التي تقع في أوروبا الجنوبية لا تزال مستبعدة من الانضمام إلى الاتحاد الأوروبي بسبب فيتو جارتها اليونان التي ترفض أن تحمل الاسم نفسه لمقاطعة مقدونيا اليونانية بحجة الخوف من ظهور مطالبة إقليمية بضمّها إلى جمهورية مقدونيا، رغم أن التعديل الثاني في دستور هذه الأخيرة يمنع اجتياح أقاليم البلدان المجاورة. ولعلّ اليونان تحمل في لاوعيها التاريخي هاجس ظهور إسكندر عصري يستحضر بطولات الإسكندر الكبير المقدوني الذي أخضع المدن اليونانية لسيطرته واجتاح الغرب والشرق قبل ألفي سنة. فكأن التاريخ في مقدونيا يحاول إخضاعها لقوانين الجغرافيا السياسية التي تتحكم فيها الدول الأقوى، رغم أن تاريخها الشخصي أثبت أنها تعرف كيف تكون صانعته.

ومقدونيا اليوم التي تعيش في كواليس ذاكرتنا نحن أبناء الشرق وربما أبناء الغرب أيضًا، تقع في شبه جزيرة البلقان، تحيطها اليونان وبلغاريا وصربيا وكوسوفو وألبانيا، تحاول أن تعود إلى خريطة العالم الحديث حاملة معها كل أمجاد اسكندرها الكبير. فجعلت علمها الوطني تتوسطه نجمة فرجينا التي وجُدت على مقبرة فيليب الثاني والد الإكسندر رغم أنها قلّصت عدد خطوطها من ١٦ إلى ٨، ومطلقة على مطارها الدولي في عاصمتها سكوبيا «مطار الإسكندر الكبير» مما يثير حفيظة اليونان.

وفي التاريخ أن مقدونيا خضعت للإمبراطورية البيزنطية، ثم الإمبراطورية العثمانية و كانت ضمن المعسكر الشيوعي بعد الحرب العالمية الثانية إلى أن تهاوى مع سقوط جدار برلين عام ١٩٨٩، وعادت مقدونيا لتلملم بقايا تاريخها عام ١٩٩١ وتكون دولة مستقلّة تعرف بـ«جمهورية مقدونيا» بعد أن كان اسمها «جمهورية مقدونيا الاشتراكية».

سكوبيا العاصمة: التاريخ الذي ابتلعته أحشاء الأرض

سكوبيا عاصمة مقدونيا والمدينة التي وُلدت فيها الأم تيريزا. يعود تاريخها إلى عهد الرومان وكانت جزءًا من الإمبراطورية البيزنطية ثم إحدى ولايات الإمبراطورية العثمانية وعرفت وقتها باسم أوسكوب ثم انضمت إلى يوغوسلافيا وعادت إلى أحضان مقدونيا لتكون عاصمتها.
عرفت المدينة نموًا بعد الحرب العالمية الثانية في عهد الديكتاتور تيتو، عكّرته قسوة الطبيعة بزلزالها الذي ضرب سكوبيا عام ١٩٦٣ ودمّرها بشكل شبه كامل.

ونتج عن سقوط النظام اليوغسلافي و استقلال مقدونيا إغلاق عدد من المصانع، لتحاول المدينة جاهدة الانضمام إلى الاقتصاد الأوروبي. لا تخلو الهندسة المُدُنية للمدينة العصرية من الفوضى المعمارية التي تعكس روح النظام الشيوعي المتقشّفة.

ولكن مهما فعل التاريخ والجغرافيا بسكوبيا، فإنها مدينة متعدّدة الوجوه رسمتها الحضارات التي مرّت عليها عبر التاريخ القديم والحديث لتراها اليوم محتشدة ينبثق منها مزيج من الثقافات متجسدًا بحجارة ومعالم تاريخية انفلتت من زلزال غاضب.

يخترق سكوبيا نهر فاردار الذي يقسم المدينة قسمين يتواصلان عبر جسر كاميني موست العثماني والذي يعتبره سكان العاصمة رمزًا مهمًا للوحدة وشاهدًا على الحضور العثماني في المدينة خلال قرون، ويقوم الجسر على إثني عشر قوسًا. تقع في الضفة الشمالية للمدينة الأحياء التركية التي يضربها الزلزال، بينما تقع في الضفة اليمنى الأحياء الجديدة التي بُنيت بعد الزلزال وتضم مجموعة من المباني العصرية الحكومية تشير إلى انفتاح سكوبيا على الغرب بعد خروج العثمانيين.

يضم وسط المدينة ساحة كبيرة تعرّف بساحة مقدونيا. ورغم أن هذه الساحة ليس فيها ما يدهش السائح لجهة الهندسة المعمارية فإنها تشكل فخر سكان سكوبيا لأنهم يرون فيها رمز الحرّية بعد قرون من الإحتلالات. وهي ملتقى السكان بلا منازع، يرتادون المقاهي المنتشرة في أرجائها.

تعتبر قلعة كالا بأبراجها المربّعة وأطلالها التي تعود إلى القرن الحادي عشر مقصد سكان سكوبيا وسياحها. كما تضج المدينة بالمعالم الأثرية العثمانية منها جامع ألاديا وجامع مصطفى باشا، وحمام دوت باشا التركي الذي يعود إلى القرن الخامس عشر، وخان القوافل «سولي آن» الذي تحوّل إلى غاليري للفن. ولعلّ بازار كارسيا أكثر الأماكن التي تعكس نمط الحياة التركية بكل أبعادها الثقافية والاجتماعية. فهذا السوق أكثر أصالة من بازار اسطنبول نفسها عاصمة الإمبراطورية العثمانية سابقًا وأكثر غرابة، يدهشك بالبضائع التي تعرض فيه بأسعار زهيدة فهو يعكس روح الشرق بوجهه المسلم وتألق مقدونيا الأوروبية، في عاصمة حيث الهوّيات الدينية وممارسة طقوسها تبرز بقوّة في الأحياء التركية والأحياء السلافية.

في سوق كارسيا يتحوّل السائح إلى محط أنظار مندهشة وفضولية، ولكن الابتسامة تظهر على ثغر البائع بمجرد أن ينطق السائح بكلمة حتى لو لم يفهم لغته فتزال الحواجز الثقافية بينه وبين البائع الذي يبذل مجهودًا ليسعد السائح فيعرض عليه تذوّق كاجماك (وهو نوع من الأجبان قريب إلى القشطة العربية وتعتبر من المأكولات التقليدية التركية وبلاد البلقان وتقدّم على الفطور)

إضافة إلى بازار كاسيّا هناك سوق بزيستن الذي يعود إلى القرن الخامس عشر، وسوق بيتبازار الذي يجذب السياح ببرج الساعة الذي تتوسطه.
رغم الحضور القوي العثماني في مقدونيا، توجد بعض الأماكن الدينية المسيحية، مثل كنيسة الصعود، وكنيسة القدّيس كليمان- دوريد، وكنيسة القدّيس دمتري وكاتدرائية القدّيس كليمانت، فضلاً عن مجسّم للأم تيريزا ومنزل خاص بها تعرض فيه تذكارات هذه الراهبة التي نذرت نفسها لخدمة المحتاجين في كل أنحاء الكرة الأرضية.

رغم المآسي التي مرّت بها سكوبيا تحتفل في الأول من أكتوبر/ تشرين الأوّل من كل عام بمهرجان الجاز الذي انطلق عام ١٩٨١، ليتطور سنة بعد أخرى ويصبح مقصد هواة الجاز من كل أرجاء البلقان. فما أجمل أن تشارك هذه المدينة التي تعيش في حواشي التاريخ في احتفالها بالحياة، لتتعلّم كيف يُصنع التاريخ.

كرواتيا بلاد ساحرة

لم يغيّر التاريخ معالم مدنها

من مفارقات التاريخ الإنساني أنه مهما بدّل صفحاته وغيّر شخصياته، لا يستطيع أن يغيّر تراكم جغرافيا الأمكنة وطبيعتها، بل يبقى مندسًا بين أحافيرها. فبعد تهاوي جدار برلين عام ١٩٨٩، رمز تقسيم أوروبا، تبعه تهاوي الأنظمة الشيوعية، ولم يبقَ منها إلا فتات أحداث لتاريخ تحاول ذاكرة الشعوب محوه. وكرواتيا هي أحد البلدان الجميلة التي استعادت ألقها الخاص بها وحدها بعد انفصالها عن يوغوسلافيا الشيوعية و بعدما كانت واجهتها البحرية، تتأمل البحر الأدرياتيكي الذي يتكسّر زبده على صخور شاطئها أحيانًا أو يختار التغلغل في حصاه أو الذوبان في رماله. فلا عجب أن يطلق عليها اسم «لؤلؤة البحر الأدرياتيكي».

وسحر كرواتيا يختبئ في مدنها العتيقة التي تحتفظ بأطلال رومانية في مدينة سبليت أو بمعالم قرون الوسطى في مدينة دوبروفنيك.

في دوبروفنيك أطول الأسوار التاريخية

يسكن سحر دوبروفنيك منذ عام ١٣٠٠ في المدينة العتيقة ستاري غراد حيث تأخذك ساحة من الرخام وشوارع مرصوفة وبيوت جميلة شيدت بالحجر الأبيض وأديرة وقصور وينابيع ومتاحف إلى عالم كرواتي يستلقي عند أقصى جنوب ساحل بحر الأدرياتيكي. تتمتع المدينة بطبيعة خلابة ومناخ رائع جعلاها مقصد السياح من كل أنحاء العالم

تملك دوبروفنيك سحراً لا يضاهى، فالتنزه سيراً على القدمين، لاسيما في منطقة لا بلاسا التي تمتد من محطة الباصات الواقعة خلف بوابة بيل حتى برج الساعة الواقف عند أقصى الجهة الأخرى للمدينة، يأخذك في رحلة إلى التاريخ المتناثر بين صفحات المدينة يقف بأبهة لا تعرف الشحوب. عند اختراق البوابة تمر بدير الفرنسيسكان حيث تقع صيدلية تعود إلى عام ١٣٩١، وعند القمة المواجهة لبلاسا تقع كنيسة القديس سانت بلاز، وهي معلم رائع شيد على النمط الباروكي الإيطالي، وقربها قصر مدير المعهد الديني الذي بني على النمط القوطي عام ١٤٤١، وتحوّل إلى متحف يضم أثاثاً ولوحات باروكية ومعروضات تاريخية.

تضم المدينة أسواراً شيدت خلال القرنين الثالث عشر والسادس عشر، يبلغ طولها كيلومترين وتضم ١٦ برجاً، يكفي الصعود إليها للاستمتاع بمناظر عز نظيرها في العالم، فكأنما السحر فيها هبط من السماء، فلا عجب أن يكون فاوست فرانيك (١٥٥١-١٦٦٧) الكرواتي الذي عرف في إيطاليا باسم فيرانزيو هو أول من درس أثر الريح في قماش المظلة فرسم المظلة الهوائية التي عرفت باسم هومو فولنز عام ١٦١٥.
وتعتبر المدينة العتيقة في دوبروفنيك ملاذ هواة التسوّق، إذ تتجاور المتاجر والغاليريات التي تعرض الأعمال الفنية على طول الشارع الرئيسي فيها، بينما تعتبر الشوارع والأزقة الضيقة فيها معقل البوتيكات و المتاجر الصغيرة التي تعرض كل أنواع التذكارات والأعمال الفخارية والجلدية والمجوهرات، والسجاد والمشغولات اليدوية المصنوعة من الخشب والسيراميك.

لكي تمضي إجازة غير مكلفة في دوبروفنيك يمكنك استئجار غرفة في أحد بيوت سكان المدينة مما يتيح لك فرصة التعرف إلى عاداتهم وتقاليدهم.

سبليت وكل المجد الروماني

على مسافة ١٥٠ كيلومترًا شمال دوبرفنيك تقع مدينة سبليت أكبر مدن كرواتيا على الساحل الأدرياتيكي وثانية المدن بعد العاصمة زغرب، نالت مجدها في القرن الرابع عندما شيّد الإمبراطور الروماني ديوكليتيان قصره. وفي القرن السابع طردت عشائر البربر المستعمرين الرومان الذي اختبأوا داخل أسوار القصر.

ورغم نمو سبليت الصناعي تحتفظ بمدينة عتيقة تنضح بالسحر والجو اللاتيني. باختصار لن يكون لدى الزائر وقت فراغ ليشعر بالملل في سبليت.

يعتبر قصر ديوكليتيان حصنًا يضم سورًا بطول ٢١٥ مترًا، تجاوره المعابد والأضرحة. يدهش زائر القصر ببهوه الرحب، وفنائه ذي الأعمدة الضخمة ومعبد جوبيتر. وتحوّلت أطلال ضريح ديوكليتيان إلى كاتدرائية. قد يستغرق التجوال في هذا القسم من المدينة ساعات، فهو أشبه بمتحف في الهواء الطلق تغلّفه السماء بهمسات الماضي وسط صخب الحياة المعاصرة.

وعلى مقربة منه متحف الأركيولوجيا، حيث انتشرت مجموعات من معروضاته في الحدائق التي تحيطه. وفي غاليري ميستروفيتش منحوتات رائعة من أعمال هذا النّحات.

أما هواة البحر والاسترخاء ففي إمكانهم على شاطئ باشيفتش إطلاق العنان لنسائم البحر الأدرياتيكي تداعب مخيلتهم أثناء تأملهم الموج وهو يذوب بين ثغرات حصاه البيضاء، يراقبون غروب الشمس الأرجواني كأنه ريشة ألوان تغوص في كواليس الحضارة الأوروبية التي ذابت فيها أدوار كرواتيا بين النصوص المقروءة وسطورها المتقاطعة، لتعيد رسم التاريخ كما تريد.

كوبنهاغن الساحرة بجمالها وقصصها الخيالية

هي العاصمة الدانماركية التي لا تخضع لحسابات الزمن

«لا يحتاج الإنسان سوى إلى ثلاثة أمتار من الأرض. الإنسان؟ لا، بل جثمانه. فالإنسان يحتاج إلى الكرة الأرضية كلها».

مرّ حوالى القرن على هذه الكلمات التي دوّنها الأديب الروسي أنطون تشيخوف في دفتر ملاحظاته وأجدني أستحضرها وأنا أراقب وأقرأ أخبار المؤتمر العالمي للتغير المناخي الذي يقام في كوبنهاغن عاصمة الدانمارك. والمفارقة انه لو كان تشيخوف حيًا اليوم لسمع الكرة الأرضية وهي تصرخ بأنها في حاجة إلى الإنسان ليحميها من نفسه ومن عدم مبالاته بها، وإلا لن يكون له مكان لا على سطحها أو حتى في أحشائها. فهل لعب تشيخوف على وتر اللاوعي عند الإنسان الذي عندما يحتاج إلى شيء يفعل المستحيل ليحافظ عليه؟ ربما. ولكن المؤكد أن حال الكرة الأرضية في أيام تشيخوف كانت أفضل بكثير مما هي عليه اليوم.

وكوبنهاغن التي تعيش بروح التاريخ المتناثر بأبّهة في أرجائها وكأنه يرفض الرحيل عنها، تراقب وتسمع وتقول بصمت أبلغ من الكلام: انظروا إلي واعرفوا كيف تبقى المدن جميلة رغم أنف التكنولوجيا التي تحوّلت نقمة عندما شط خيال الإنسان العلمي وظن أن الأرض التي منحه الخالق نعمة العيش فيها يمكنه أن يعبث بغلافها الجوّي ومائها وهوائها وأشجارها وجبالها وأحشائها...

إنها كوبنهاغن المدينة الساحرة بجمالها وقصصها الخيالية. ولعلّ إعادة قراءة قصة The little Mermaid «الحورية الصغيرة» التي ألّفها الأديب الدانماركي هانز كريستيان أندرسن تقودنا إلى عالم افتراضي رائع يشبه أعماق البحر الذي عاشت فيه الحورية الصغيرة! فهل قرأها قادة العالم ليفكّروا في أن بطن البحر يحتاج إلى أن يعود إلى سيرته الأولى؟

ومهما يكن، فإن كوبنهاغن المستلقية على بحر البلطيق تحافظ على وجهها الإنساني الذي لا تجرؤ مساحيق العصر على تغيير ملامحه الجميلة، وتغسله بمياه باردة لتقضي على تجاعيد الزمن، وتجففه بنسائم الشمال الأوروبي الصباحية لتبقى حسناء جميلة تبدأ نهارها مبتسمة لمن يلاقيها.

يعتبر حي نايهافن Nyhavn الأكثر غرابة في كوبنهاغن. فقد كان في القرن السابع عشر حوضاً يسمح للمراكب بالوصول إلى الساحة الملكية. وراهناً تخبئ المراكب الشراعية والبيوت الملوّنة تاريخ حي راقٍ يحضن عدداً من البوتيكات ومقاهي الرصيف التي يستمتع روّادها بأمواج بحر البلطيق وهي تتلاعب بالمراكب واليخوت، ويشاهدون مجسّم الحورية الحسناء الوقف على صخرة عند مدخل المرفأ تنتظر أميرها القادم من اليابسة.

وتُعَدّ الحورية الصغيرة رمز كوبنهاغن، وقد صنع المجسّم النحات الدانمركي إدوارد أريكسن بناء على طلب كارل جاكوبسون تكريماً للأديب هانس كريستيان أندرسن الذي نالت قصصه الخاصة بالأطفال شهرة عالمية. والمفارقة أن هذا التمثال سُرق مراراً، وفي كل مرة يعاد إلى الصخرة الواقف عليها. ربما السارق كان طفلاً أراد أن يحتفظ بحوريته الصغيرة، ليكتشف أنها مجرّد منحوتة برونزية شُغلت بإتقان.

حديقة تيفولي

يعتبر متنزه تيفولي ثاني أقدم متنزه ترفيهي في العالم بعد متنزه ديرهافسباكن في كلامبورغ المجاورة. يعود تاريخه إلى عام ١٨٤٣ عندما طلب ملك الدانمارك كريستيان الثامن من المهندس جورج كارستنسين تنفيذ متنزّه. لقد أراد ملك ذلك الزمن أن يجعل لأهل كوبنهاغن متنفساً يمضون فيه ساعات فراغهم، وفي الوقت نفسه يبعدهم عن السياسة، فقد كان يؤمن بالمقولة الرومانية التي تقول: «عندما يشعر الشعب بمتعة الحياة ينسى السياسة». وربما كان إصراره على أن يكون المكان متنزّهاً يستحضر قصص الأطفال

الخيالية أساسه أن يعيش الزائر في عالم افتراضي حيث كل شيء جميل وهادئ، بعيداً عن فذلكة السياسة والسياسيين.

فكل ركن فيه يأخذ زائره إلى مدينة خيالية. هنا سحر الشرق الأقصى بألوانه وزخرفاته التي تجسدت في حديقة يابانية مستلقية على بحيرة صناعية، يجاورها برج لهيكل صيني، وفي المسرح الإيمائي وجوه مقنّعة لا تخرج منها الكلمات، ولكن حركة الأجساد أبلغ مما تقوله الأفواه. وفي التاريخ أن الرومان هم أول من ابتدع المسرح الإيمائي لينتقدوا الكهنة، لكن المسرح هنا وحكاياته مستوحاة من سحر الصين. وفي قصر ألف ليلة وليلة حكاية الملك شهريار والأميرة شهرزاد وقصصها التي لا تنتهي، لتتسرب إلى أنف الزائر ومن ثم معدته روائح الطعام المغربي الحرّيفة تنبعث من مطعم نيمب، وما تكاد الشمس تعلن بخيوطها الذهبية انتهاء النهار، تتألق خطوط فضية تنثرها الأضواء لتتحوّل الحديقة إلى مهرجان أنوار تنبثق من كل الزوايا محتفية بزوارها الذين لا يغادرونها إلا عند ساعات الفجر الأولى.

متنزّه ليغو- لاند
هل تخيّلت أن تتحوّل عملاقاً يتجوّل بين أروقة مدينة من الآجر! هذا ما يحصل لك في متنزّه ليغو لاند، الذي شيّد بـ ٤٥ مليون آجرّة شكّلت مدناً ومعالم تاريخية من كل أنحاء العالم ابتكرتها بدقة أيدي فنانين شغوفين. يغص المتنزّه بالأطفال برفقة أهاليهم، تبدو الدهشة في عيونهم وهم يراقبون مدناً أبنيتها أصغر منهم حجماً. ربما يتمنون في قرارتهم أن يحملوا بعضها إلى غرفهم، أو أن يحصلوا على العاب تشبهها!

في شبه جزيرة هولمن مبنى الأوبرا، وقد بناه المهندس المعماري جورن أوتزون، وهو المهندس نفسه الذي بنى أوبرا سيدني. وفي مقابل الأوبرا يقع قصر أماليبورغ الذي تعيش فيه العائلة المالكة، ويتألف من أربعة مبانٍ يعود تاريخها إلى القرن الثامن عشر، يضم أحدها متحفاً يروي تاريخ العائلة المالكة الدانماركية، ومجوهرات أصحاب العرش.

والمكتبة العامة ليست مكتبة تقليدية بل هي تحفة فنية شيّدت على نمط الفن الدانماركي المعماري، مبنية من الغرانيت اللامع الأسود ويطلق عليها سكان كوبنهاغن «الماسة السوداء». وتشكّل المكتبة العامة ملحقاً للمكتبة الملكية وتضم أصول منسوخات كتبها عظماء الدانمارك أمثال أندرسن وكيركيجارد وكارن بليكسن ونيل بوبير وغيرهم.

وبعد الزيارة التاريخية لا بد لزائر كوبنهاغن أن ينعم بالتسوّق في أوستربرو الذي يضم شارعي أوستربروغاد ونوردر فريهانيسغاد اللذين يعتبران فردوس التسوّق، وكذلك الشوارع الصغير المتفرّعة منهما التي تتجاور فيها بوتيكات لأهم دور الأزياء العالمية تجاور متاجر تعرض التذكارات. بينما يشكّل شارع نوريبرو وجه كوبنهاغن الكوزموبوليتاني حيث تحتشد الجموع من كل أنحاء العالم والبوتيكات والمقاهي التي تقدّم المطبخ العالمي

ليس أجمل من أن يزور الإنسان مدنًا تحضن في ثنايا أروقتها كل معالم الجمال الطبيعي والإنساني، فيعيش أيامًا من الرخاء لا حدود له سوى الزمن الأرضي الذي يوقظنا من أجمل لحظاته، ربما لنخزّن في ذاكرتنا صورًا انفلتت من قبضته. وكوبنهاغن مدينة القصص الخيالية تنبض جمالاً وتتنفس فرحاً لا يخضع لحسابات الزمن وأوهامه.

روائع العالم في سان بيترسبورغ

روسيا

روسيا، التي كانت امبراطورية القياصرة الواسعة، هي أكبر دول العالم مساحةً، تمتد في شرق أوروبا وفي آسيا بين البلطيق والمحيط المتجمد الشمالي والبحر الاسود وبحر قزوين والمحيط الهادئ على مساحة ١٧ مليوناً و ٧٥ ألفاً و ٤٠٠ كيلو متر مربع. عاصمتها موسكو ومن أهم مدنها سان بيترسبورغ.

سان بيترسبورغ

انطلقنا في رحلة جوية داخلية لنبلغ بعد ساعة ونصف الساعة سان بيترسبورغ العاصمة الثقافية والمعمارية لنزورها لثلاثة أيام، لكن المطر لم يشأ مغادرتنا الا قليلاً. ورغم ذلك شاهدنا بعضا من أجمل القصور في هذه المنطقة على ضفاف نهر النوفا وأبرزها متحف «الارميتاج».

ويعرف ان هذه المدينة نُسِّقت هندستها وألوانها مع الوان الغيوم التي لا تغيب عن سماء سان بيترسبورغ.

بنى المدينة القيصر بطرس الأكبر (الاول) واطلق عليها اسمه، ثم عادت واتخذت اسماء اخرى اما اليوم فهي تعرف باسمها الاول .

حتى يستقطب بطرس الأكبر عدداً كبيراً من الناس الى هذه المنطقة بدأ بتوزيع الاراضي مجانا فسارع الكثير من الانكليز والفرنسيين والالمان ليمتلكوا اراضي يبنون عليها قصورهم فدبّ الحماس في سكان موسكو وانتقل كثير منهم الى سان بيترسبورغ بعدما كانوا قد امتنعوا عن العيش فيها بسبب طبيعتها الحرجية وطقسها البارد وارضها التي لا تنبت الا القليل جدا من الخضار كالبطاطا والجزر.

اول لقاء لنا في هذه المنطقة كان عند «ساحة اسحق» حيث حصان من البرونز يلف اسفله اميرات اربع ويتوسط الساحة. كما شاهدنا ابرز قلاع هذه المنطقة والتي تعود لقلعة بطرس وبولس وهي تشتهر بمسلة معدنية مذهبة يبلغ ارتفاعها ١٢٢،٥ مترا كما يضم سجن شهير استخدم كسجن سياسي ثم تحول الى متحف في العام ١٩٢٤.

وعلى نهرها لفتت انتباهنا بواخر كبيرة منها سياحية ضخمة ومنها تجارية وأبرزها سفينة «الهولندي الطائر» الدائمة الحضور.

أما الجسور فكان لقاؤنا معها مميزاً اذ انتظرنا قدوم الليل وعند الساعة الواحدة والنصف شاهدنا اجمل اللوحات وذلك عندما بدأت هذه الجسور بالارتفاع لتفتح الواحد بعد الآخر امام البواخر التجارية لتسهيل عملية الملاحة التجارية.

وفي بيترسبورغ كان ختامها مسكا بعد ان شاهدنا العديد من الساحات والقصور وانتهينا مع متحف «ارميتاج» وهو أكبر المتاحف في العالم. كما لا نفيه حقه لو فتحنا صفحات من الكتابة عنه لانه لا يشبه سواه من المتاحف وقليل ان نقول فيه انه «قصور في متحف». فلو اردنا تصويره من الخارج لما اتسعت له عدسة الكاميرا لذلك استطعنا ان نلتقط له بعض الصور من الضفة الثانية للنهر لنتمكن من تصويره في كل ابعاده.

اما زيارته التي تستغرق ٦ سنوات لمشاهدة كافة ما يضم من كمية أعمال لا يمكن وصفها، فكان علينا ان ننهيها في نحو الاربع ساعات. وعند دخولنا كنا كأمراء وأميرات نعيش لحظات نعرف انها ستنتهي بانتهاء الزيارة.

اسكوتلندا

بلاد تنطق جمالاً يعيش خارج أبعاد الزمان

عندما تلقيت دعوة من شركة لاند روفر لزيارة اسكوتلندا، لم أتردد لحظة في قبولها رغم أن مدتها كانت يومًا ونصف اليوم. فزيارة اسكوتلندا تعني أن أكون ولو افتراضيًا وسط عدسة هوليوود التي برعت في عكس جمال هذه البلاد ذات الجبال التي تعانق أطراف السماء بكل درجات الأخضر وتموّجاته، يخترق صمتها المدوي وجمالها العجائبي صوت ميل غيبسون الهوليوودي الذي جسّد شخصية وليام والاس البطل الاسكوتلندي ورمز الاستقلال في فيلم بريف هارت Braveheart ، برؤية ملحمية متكاملة الأبعاد من حيث الموسيقى والمعارك التي دارت في ربوع خضراء تظن أن الشاشة تلاعبت بألوانها لتخدر الحواس إلى درجة يعجز الخيال عن تصوّرها.

وفي التاريخ أن وليام والاس قائد اسكوتلندي تجرأ في القرن الثالث عشر على مواجهة فيالق جيش الملك إدوارد الأوّل الإنكليزي الذي حاول غزو اسكوتلندا. حملت هذه الصور الهوليوودية في حقيبة أفكاري وحلّقت بها إلى أدنبره عاصمة اسكوتلندا. العبور الأوّل كان عبر مطار شارل ديغول في باريس، ثم حلّقنا مرة أخرى نحو أدنبره.

وصلنا إلى مطار ادنبره الدولي وكان في انتظارنا ممثلو شركة لاند روفر. اخترقت بوابة المطار لأجد زخّات مطر تستقبلني. استغربت الأمر لأنني كنت أتوقع طقسًا صيفيًا أو خريفيًا في شهر آب/ أغسطس ولكن توقّعاتي كانت في غير محلها، فلسعات البرد رحّبت بي وكأنها تؤنبني لأنني لم أحضر بملابس سميكة، فقررت التظاهر بأنني لم أتأثر بها.

دارت بنا السيارة في قلب مدينة تضج بالأخضر إلى أن وصلنا إلى فندق داكوتا أندبره. لفتتني هندسة الفندق الخارجية التي تشبه صندوقًا زجاجيًا أسود رمي وسط الأخضر، ليفاجئني باطنه بالأسلوب الهندسي الدافئ الذي يرتكز على النمط الاسكوتلندي بكل أبعاده.

استقبلنا مندوبو شركة لاند- روفر . وبعد التعرّف إلى باقي الفريق الصحافي، رحت أفتش في حقيبتي عن سترة سمكية تقيني من البرد ولكن عبثًا حاولت، فقلت لنفسي هذا قصاص من لا ينظر إلى حال الطقس في البلاد التي يسافر إليها. بعد حوالي الساعتين تعلّمنا خلالهما طريقة قيادة سيارة اللاند- روفر L4 الجديدة والتقنيات الموجودة فيها، استقل كل اثنين سيارة. أردت اختبار القيادة في أدنبره فقد كان من الغريب عليّ أن أجلس يمينًا لأقود وأنا التي اعتادت القيادة يسارًا منذ أن كنت في السادسة عشرة. الغريب أنني استطعت أن أبرمج دماغي على هذا الأساس رغم أنف نظرية فرويد، فلم يغلب عليّ لاوعيي القيادي وسقطت مقولة «الطبع يغلب التطبّع».

من الجميل أن تبدأ مغامرة التعرّف إلي المدن وحدك ودليلك يكون فقط جهاز Navigation السيارة الإلكتروني، يرشدك إلى الطريق وإذا أخطأت الاتجاه يجد لك الحل. خرجت من أندبره ورحت أقود السيارة وسط روابٍ سقطت ألوانها من السماء فبدت لي زخّات المطر التي كانت تثور أحيانًا فتشتد وتهدأ أخرى فتصبح لطيفة، وكأنها تنبثق من السحاب الذي يخلط الألوان في لوحته السماوية تبعًا لمزاجه ويقذفها إلى الأرض بدرجات من الأخضر واللون الترابي لا نهاية لها.

وصلت وباقي الفريق الصحافي إلى مطعم ميغجيت ريزرفوار Megget Reservoir الموجود في غابة أتريك ويقع غرب كابر كلوش و سانت ماري لوش وشرق خزان تالا. تخيّل أنك تتناول غداءك في مطعم يقبع في قلب خزان مائي سعته ٦٤ مليون طن من المياه يروي مدينة أندبره التي يبلغ عدد سكانها ٤٥٠٠٠٠ نسمة. لم يخف أحد من أعضاء الفريق الصحافي رهبته من المكان رغم أنه يقف فوق أرض صلبة. بعد الغداء نزلنا إلى الطبقة السفلية حيث قام مصمم اللاند - روفر من مجموعة L4 بشرح التصميم الجديد لهذه السيارة الرباعية الدفع وبعدها بدأت مغامرة قيادة الأوف رود.

لحسن حظي أن شريكي في القيادة كان اسكوتلنديًا وكان متسامحًا وقال لي: «يمكنك القيادة فقد أمضيت ثلاثين عامًا أقوم بقيادة الأوف رود، وهذه ستكون تجربتك الأولى فاستمتعي بها قدر ما تشائين».

بدأت المغامرة منذ اللحظة التي تركنا فيها ميغجيت ريزرفوار. وبدأت اختراق طرق إسفلتية ممهدة وسهلة تتناثر على أطرافها الروابي التي بدت لي أثناء استراقي النظر إليها وأنا أقود، أنها تراقبني وتتحداني ما إذا كنت سوف أنجح في عبور أروقة أدغالها أم لا!

بعد قيادة استمرت حوالي الساعة التزمت خلالها قانون السرعة التي كانت تزيد أحيانًا إلى الحدود القصوى وتنخفض أحيانًا كثيرة تبعًا للوحات الموجودة على الطريق، وخوفًا من عدسة كاميرات السرعة المختبئة في صناديق يفاجئنا حضورها في طريق معزولة تتحكم في سباق أبدي بين الزمن والمسافة لتنتصر معادلتها.

وصلنا إلى بلدة روكسبراغ وكانت هادئة تنتشر فيها البيوت التي تتدلى من نوافذها وشرفاتها الصغيرة أصص الزهور بكل الألوان والأشكال، وكأنها جزء من الطبيعة. يغلب الطابع الباروكي والقوطي على الهندسة المعمارية حيث تنبثق من القصور الكبيرة والصغيرة أبراج يخترق سكونها هدير نهر تويد الذي يخترق البلدة. كل شيء كان هادئًا ما عدا أصوات الطبيعة حيث الماء والهواء يتلاعبان بفضاء المدينة، وكأنهما اختاراها موطنًا لهما. قطع دهشتي بجمال المدينة صوت شريكي في القيادة: «أرأيت كم هي جميلة روكسبراغ فلا عجب أن يتخذها الأمراء والدوَقة مقرهم الصيفي». بعدها توجّهنا إلى المنطقة التي تنطلق منها مغامرة الأوف رود، حيث كان في انتظارنا أحد مندوبي اللاند- روفر وشرح لنا كيف نجتاز نهر تويد ونصعد إلى الضفة الأخرى منه. كنت أظن أن اجتياز النهر بالسيارة مجرّد خدعة تقوم بها العدسة الهوليودية أو التسويقية إلى أن ثبت لي عكس ذلك وجرّبتها بنفسي، فكانت أول الغيث.

بعد اجتياز النهر توجّهنا إلى قصر Floors Castle الذي يقع في قلب الوادي بين نهر تويد وقمم شيفيوت. بناه الدوق الأوّل لروكسبراغ عام ١٧٢١ وتحوّل إلى متحف في الحاضر رغم أن مالكيه ينظّمون احتفالاتهم الخاصة فيه.

توقفت السيارات أمام مدخل القصر الرئيسي ونزلنا لاستراحة شاي في الطبقة الأولى للقصر حيث عبّر بهو الدخول عن الروح الأرستقراطية لمالكي القصر وهم من سلالة دوق روكسبراغ الأوّل. تتوسط البهو طاولة مستديرة وعلّقت على جدرانه لوحات زيتية من أعمال الإيطالي بامبيو باتوني. يتألف القصر من ١٣٤ غرفة وجناحًا، ولكن لم يسمح لنا إلا بزيارة أجنحة الطبقة الأولى. البداية كانت في Ante Room The . يشير حجم هذه الغرفة الصغيرة والجدران الضخمة إلى أنها كانت واحدة من الأجزاء العتيقة للقصر. أعاد تصميمها وليام آدم على نمط جيورجي، تطل شرفاتها على مشهد بانورامي ومشهد نهر تويد ينساب عند أقدام هضاب شيفيو، وعلى الشجرة العملاقة الموجودة في متنزه القصر حيث قتل ملك اسكوتلندا عام ١٤٦٠.

كل شيء في الجناح لا يزال على سيرته الأولى ما عدا صور أصحاب القصر من الجيل الجديد التي وضعت على الطاولة. ثم توجّهنا إلى غرفة الجلوس التي لا تقل روعة وحميمية عن جناح ذي آنت روم، وفي جناح الرسم لوحات زيتية عملاقة وأثاث فخم يشير إلى الذوق الرفيع للأجيال التي سكنت القصر. أما صالة الرقص فتخيّلت الدوقات يتمايلن فيها بفساتينهن المزركشة أثناء رقصة فالس اختلط فيها صوت الموسيقى بحفيف فساتينهن بخفر. من الجميل أن تتجول في عالم الطبقة المخملية، وتتقمص حياة الترف ولو للحظات.

بعد استراحة مخملية عدنا وركبنا سيارات اللاند - روفر لنخوض مغامرة ترف من نوع آخر في قلب طبيعة لا يمكن أحدًا أن ينافس ديكور مهندسها. اخترقت أروقة وحل ضيّقة كانت تفاجئني بحفر مائية في قاعها أحجار صخرية، أتخلص منها لأفاجأ بشجرة عملاقة تراقبني عند منعطفٍ قاسٍ عليّ صعوده... أنتهي من هذه المهمّة لأجد نفسي ملزمة عبور جسر حديدي متعرّج، والحمد لله أنه جعل للإنسان عقلاً يبتكر، فلولا التقنيات الحديثة التي تتوافر في اللاند روفر لما كان في إمكاني أن أعبر الممرات الضيقة التي تقف على حافة وادٍ أو أتجنب الصخور، إذ كان يكفيني أن انظر إلى الكاميرا الموجودة في اللوحة الأمامية للاند- روفر

حتى أتجنب كل العوائق الطبيعية وأخطارها، وأضغط على أزرار التحكم حتى أغيّر أحوال السيارة تبعًا لهوى الطبيعة.

بعد اختراق الغابة التي بدت لي أنها جعلت كل عناصرها متأهبة لتتحداني وتتحدى كل بقية الفريق الصحافي المشارك في هذه المغامرة، ظننت أنني انتهيت وخرجت منتصرة على كل تقلبات الطبيعة وأهوائها فإذ بأحد العاملين في لاند- روفر يظهر عند مفترق طريق يوقفني ليخبرني عن المرحلة الأخيرة للمغامرة. فقال لي: «أترين ذاك الجسر؟ وكان شاهق الارتفاع، واسمه «روكسبراغ فيادَكتْ»، وهو أقدم جسر في راكسبراغ يربط المدينة القديمة بالحديثة، عليك تجاوزه «فقلت له، حسنًا إنه مجرّد جسر». ولكن عندما وصلت إلى مدخله، أوقفني مندوب آخر شارحًا لي كيف عليّ أن أصعد الجسر الحديدي الذي يقف على الجسر وهذا ما لم يكن عاديًا. مما يعني ارتفاعًا صناعيًا ضيقًا فوق ارتفاع طبيعي واسع.

أخيرًا انتهت المغامرة بسلام وعدت لأخترق طرقًا اسفلتية إلى أن وصلنا إلى فندق روكسبراغ حيث سأمضي ليلتي. كانت الشمس قد بدأت تغير ألوان الأفق الأخضر، لتتيح المجال لليل يتلاعب بأنظارنا وأوهامنا. فقد علّق أحد زملاء الرحلة بالقول إن الهدوء في هذه المنطقة مهيب خصوصًا في الليل إلى درجة أنك تسمع الأشباح، وبحسب أوهامه أنه سمعها في إحدى المرّات إلى درجة أنه طلب من صديقه أن يبيت معه في الغرفة خوفًا. أما أنا فقد تآمرت مع الليل وأوهامه وقلت له: «ربما لأن المنطقة فيها جداول وسواقي ماء أينما ذهبت، وعمومًا يقال إن الجن تحب السكن في المناطق التي يوجد فيها ماء»، فزدته رعبًا.

ذهبت إلى غرفتي التي كانت في الطبقة الأرضية وفتحت نافذتيها المشرفتين على الحديقة رغم البرد، ورحت أتأمل الجمال المحتشد الذي ذكّرني بمدينة بادن- بادن في ألمانيا. شعرت بالرهبة وكما يقول المثل انقلب السحر على الساحر، فأنا التي كنت منذ لحظات أعزز رعب زميل الرحلة بدأت الأوهام تجتاحني. فهنا لا تسمع سوى أصوات الطبيعة وكأنها سمفونية يتبارى موسيقيوها في التلاعب بمشاعرنا الإنسانية، فقطرات المطر تتساقط بخفر على العشب الأخضر، والريح يراقص الشجر فيتحوّل حفيفه إلى نوتة موسيقية غريبة، جعلتني أحدّق إلى ظلال الشجر وأتخيّل أشكالاً غريبة ليست موجودة إلا في مخيّلتي، فما كان مني إلا أن أغلقت النافذة، وقطعت حبل الأوهام، وخرجت من الغرفة مسرعة لأتناول العشاء مع باقي الفريق الصحافي. غلبني النعاس وعدت إلى غرفتي بعدما جعلت وعيي ينتصر على غريزة الخوف وسطوة الأوهام، وغططت في نوم عميق لم أفق منه إلا عند ساعات الصباح عندما بدأ المطر يطرق زجاج النافذتين.

تكرر المشهد الجمالي فقررت الذهاب إلى الحديقة التي شغلتني أخيلتها الليلية. كان الهواء نقيًا إلى درجة شعرت فيها بأنني وسط عالم عذري لم يسمح لتكنولوجيا العصر بأن تجتاحه.

تناولت الفطور مع الفريق الصحافي، وعدنا واستقلينا سيارات الرانج روفر لنخوض مغامرة أخرى من مغامرات الأوف رود. وشريكي للمرة الثانية يسمح لي بالقيادة. تكررت المشاهد الساحرة إلى أن وصلنا إلى مركز لشركة لاند- روفر رمي بين أحضان الطبيعة. وبعدما شرح لنا المسؤول في الشركة عن التقنيات الجديدة المتوافرة في سيارات الرانج روفر، كان علينا تجربتها. المغامرة الأولى هي قياس السرعة القصوى والتوقف المفاجئ، إذ كان على كل واحد أن يصل إلى سرعة ١٦٧ كيلومترًا خلال دقيقة ثم التوقف فجأة. الحقيقة أني لم أجرّبها إذ يكفي أن عشت التجربة مع المدرّب إلى درجة شعرت فيها بأن الأدرنلين قد وصل إلى أقصى حدوده. غريب كيف أن غريزة الخوف أحيانًا تجعلنا نستسلم لها رغم أننا ندرك أنه لن يصيبنا مكروه، ولكنه الخوف! وبعدها كان علينا تجربة السرعة خلال الدوران وكان فيها تحدٍ جميلٍ خضته.

وبعد تجارب السرعة عدنا إلى مغامرة الأوف رود بكل أخطارها وتحدياتها، فتخيّل أن عليك أن تنزل بسيارة رباعية الدفع في حافة من دون أن تهوى. كنت سأتخلى عن الأمر خصوصًا حين رأيت عجلتي السيارة الخلفيتين التي كانت أمامي قد صارتا في الهواء، وكل التركيز على العجلتين الأماميتين، ولكن لم أسمح لخوفي أن ينتصر عليّ وقلت في نفسي إن القيمين لو لم يكونوا متأكدين من أنه لن يصاب أحد منا بمكروه لما نظموا هذا النوع من الرياضات. كما أن شريكي في القيادة شجعني على خوض هذه التجربة لأني وبحسب رأيه سائقة ماهرة، رغم أنني امسك المقود بيد واحدة. فهو في الأصل أستاذ تعليم قيادة. وبعدما انتهينا من هذه المغامرة بدأنا الصعود نحو جبال يطغى عليها اللون البنفسجي بكل درجاته. وصلنا إلى كوخ

مرمي عند قمة الجبل وكان البرد قارسًا، فدخلنا إليه لتناول الغداء، وكما يقول المثل «الدفا عفا ولو في عز الصيف»، فكيف إذا كنت في بلاد لا تعرف الصيف؟

تناولنا الغداء وصار الجميع يتحدثون عن هذه المغامرة التي لا يمكن أحدًا أن ينساها. أما أنا فكان لدي سؤال فضولي منذ اللحظة الأولى التي وصلت فيها إلى اسكوتلندا، وهو لماذا تلفظ أسماء أدنبره Edinburgh وروكسبراغ Roxburgh وغيرهما من المدن بخلاف ما تكتب؟ طرحته على الشابة الاسكوتلندية التي كانت برفقتي فكان الجواب: «هكذا. ربما لنتميز عن الإنكليز». وسألتها لمَ لم أرَ رجالاً يرتدون الزي الاسكوتلندي التقليد أي التنورة فضحكت وقالت: يرتدونه في المناسبات التقليدية وفي المهرجانات الفولكلورية، وليس كما ترين في أفلام هوليوود».

انتهينا من الغداء وكان علينا العودة إلى مطار أدنبره. خلال خمسين دقيقة تكررت المشاهد وهذه المرّة لم أقد السيارة بل تركت المهمة لشريكي في القيادة الذي أراد ذلك وأنا لم أعترض لأنني أردت أن أودّع اسكوتلندا وأخزن في ذاكرتي صورًا لطبيعة أقل ما يقال عنها إنها فردوس أرضي سقط سهوًا من حساب الزمن الأرضي فانبلج سحرًا ...

فيينا مدينة أرستقراطية في كل وجوهها

يفكّر الكثيرون في السفر لتمضية العيد في جو من الفرح لذلك العطلات الرائعة إلى وجهات الأحلام.
إذا قررت وعائلتك تمضية عطلة «ثقافية» غنية بالتاريخ، تأخذك إلى فيينا وروما، حيث يمكن زيارة المواقع الأثرية ودور الأوبرا الإيطالية، قبل الاسترخاء لتناول القهوة.

فيينا، وريثة مملكة الهابسبورغ وعاصمة النمسا، ليس في إمكانها إلا أن تكون مدينة «نوستالجيا» يغمرها الحنين إلى عصر الأباطرة. قصور باروكية يتناثر في أرجائها صدى حفيف فساتين كونتيسات ودوقات يتمايلن بخفر خلال رقصة فالس. وتصدح في فضاء مزخرف بالحياة المخملية موسيقى هايدن وشتراوس وشوبرت وموتسارت. ولا تقتصر مغامرة الحياة المخملية في فيينا على الفالس والموسيقى بل تمتد إلى بيوت القهوة وهي وجه ثقافي آخر لفيينا، فهذه البيوت ليست مجرّد مقاه لتناول القهوة والحلوى بل أسلوب ثقافي بحد ذاته، ويقال عنها إنها «غرفة جلوس فيينا»، حيث يحب الكثيرون ارتيادها بعد نهار طويل من العمل. وعلى الرغم من اختلاف هذه المقاهي في الشكل، فإنها تحافظ جميعها على طريقة تقديم خدمات فاخرة تعكس تمسك هذه المدينة بجذورها الملكية حتى في أدق التفاصيل الحياتية. فهل تخيّلت مرة أن نادلاً سيقدم لك فنجان القهوة وهو يرتدي بدلة التوكسيدو الرسمية؟ إنها الحياة المخملية على طريقة فيينا

وتعتبر الوجبة الخفيفة Jause، أو ما يُعرف بالعصرونية، طقساً تقليدياً في حياة سكان فيينا يمارسونه بحماسة. والوجبة عبارة عن فنجان قهوة وقطعة كيك. وإذا أردت أن تجرّب هذا التقليد وتنعم بالاسترخاء ما عليك سوى التوجّه إلى مقهى «ديميل» الواقع في منطقة رقم واحد في شارع كول ماركت حيث اعتاد أفراد العائلة المالكة تناول وجبتهم الخفيفة المحضّرة في مقهى «ديميل».

كان

مدينة الصيّادين التي تحوّلت إلى أكثر مدن العالم أرستقراطية

على ساحل البحر الأبيض المتوسط، تتجاور كان ونيس ومونتي كارلو، كأنها في مباراة جمالية تتنافس فيها على لقب جميلة الساحل اللازوردي، يربط بينها الشاطئ الرملي الذي يصلها بجبال الألب المنحدرة عبر الحدود الفرنسية الإيطالية. ورغم شهرة جارتيها تنفرد مدينة كان بجمال أحّاذ كأنها لوحة مائية رسمت بألوان وحركة متموجة تندفع فيها الأزمنة والفصول. ويدهش العربي القادم من الشرق بمشهد شروق الشمس من البحر، وغروبها خلف الجبال وهو مشهد معاكس لما ألفه في بلاده.

في مطلع القرن التاسع عشر تحوّلت مدينة كان من مجرّد قرية ساحلية منسية ترسو فيها قوارب الصيادين الفقراء إلى مدينة أرستقراطية بامتياز يستجم فيها أغنى أثرياء العالم. لعبت الصدفة تاريخياً لعبتها مع مدينة كان، ففي العام ١٨٣٤ أمر ملك البييه مونت بإغلاق الحدود الفرنسية الإيطالية بسبب تفشي وباء الكوليرا، في الوقت الذي كان اللورد هنري بروغهام أند فو رئيس وزراء بريطانيا وابنته أليونور لويز مسافرين إلى إيطاليا عبر كان، مما اضطرهما إلى المكوث في نزل ميتر بانشينا Pinchinat Maitre الواقع في شارع المرفأ من تلك المدينة. سحر اللورد بجمال هذه البلدة وأعجب بحسن ضيافة سكانها، فقرر أن يشيد فيها قصراً على اسم ابنته. وفي غضون سنوات تحوّل مرفأ الصيادين إلى أرقى شارع في كان وانتشرت حوله الأحياء الجديدة التي شيّدت فيها أروع القصور.

المدينة القديمة Suquet Le

عبر طريق سان أنطوان أقدم شوارع المدينة العتيقة تصعد السلالم إلى ساحة لو كاستر Castre المحيطة بالأسوار حيث تقع كنيسة نوتردام دو ليسبرانس التي أعيد ترميمها في القرن السابع عشر. يقام في هذه الساحة مهرجان سوكيه Suquet الموسيقي خلال الصيف. وتنتظرك عند الوقوف في قمة هذه البلدة لوحة بانورامية لشاطئ كان تجاوره جزر ليرين Lerins وهضبة خضراء تندس بين أشجارها فيللات فخمة ويقف عند أعلاها برج المراقبة.

وتأخذك الطريق إلى متحف كاستر الذي هو عبارة عن قصر قديم يعود تاريخ بنائه إلى القرن السابع عشر ويضم مجموعات إثنية وأثرية. وعبر الأزقة الضيّقة التي تتسلل إليها نسمات البحر المنعشة، تتوجه نحو سوق فورفيل Forville الريفي المضمّخ بأريج النبات الجبلي، وتتسكع في ممرات الحرية المظللة بشجر الدلب على طول الشاطئ.

المرفأ العتيق

يدهشك المرفأ القديم بالتناقض الغريب الذي ينطوي عليه، فعلى الشاطئ الرملي تجد الصيادين منهمكين بنسج شباكهم، وعند رصيف المرفأ ترسو أجمل يخوت العالم، وفي عمق البحر تعوم جزيرتا سانت مارغريت وسانت هونورا اللتان تصل إليهما بالقارب خلال عشرين دقيقة.

قصر المهرجانات

حملت أواخر ثلاثينات القرن الماضي إلى كان مصادفة تاريخية ثانية، فبعد فشل مهرجان البندقية السينمائي في تلك المرحلة، قررت فرنسا تنظيم مهرجان سينمائي عام ١٩٣٩ غير أن دخولها الحرب العالمية الثانية أدى إلى إلغائه. وبعد سبع سنوات أي في ١٩٤٦ انطلق المهرجان وأصبحت كان المدينة الفرنسية الثانية بعد باريس في تنظيم المهرجانات والمؤتمرات العالمية التي يقام معظمها في قصر المهرجانات الذي يضج خلال شهر أيار/ مايو بصخب فني وثقافي لا مثيل له.

التسوّق في كان تقليد

للتسوّق في كان تقليد عريق فإذا تركت الفندق عليك أوّلاً أن ترنو بنظرك إلى منطقة لاكروازيت التي سوف تدهشك بجمالها الساحر الممتد على طول الشاطئ المتعرّج حيث الحدائق الغنّاء تفوح منها روائح الزهور والصنوبر. ومن ثم لا تتردد في القيام بنزهة إلى وسط المدينة حيث تدع خطواتك تسير على إيقاع استكشاف ما يخفيه من مفاجآت، فكل ركن منه يكشف عن ثراء هذه المدينة التي تغص بمتاجر تعرض أرقى أزياء المصممين العالميين.

تجد في مجمع سانت هونوريه أزياء الهوت كوتور والمجوهرات ومواد التجميل والتحف لأهم الماركات الفرنسية والعالمية. ويقع في موازاة لا كروازيت شارع أنتيب حيث التسوق يشعرك بأناقة أسلوب الحياة في كان، وتجاور في شارع مينادييه متاجر الألبسة حوانيت المأكولات الريفية التي يشتهر بها ريف كان.

جزيرة وايت البريطانية

هنا كتب ديكنز و كارول وداروين روائعهم الأدبية والعلمية

بين فرنسا وجنوب بريطانيا تعوم في بحر المانش جزيرة آيل أوف وايت Isle of Wight أو جزيرة الشجاع، ماسة الجزر البريطانية. على عكس لندن عاصمة الضباب، تغمر الشمس هذه الجزيرة الهادئة البعيدة عن كل ما له علاقة بتلوّث العالم الجديد، فتبدو شطآنها الرملية والصخرية الناصعة البياض ملاذاً للباحث عن ذروة الاسترخاء.

يبدو أن سحر الجزيرة الأسطوري كان ملهم أدباء بريطانيا ومفكّريها، ففي هذه الجزيرة استوحى لويس كارول روايته «أليس في بلاد العجائب»، ووضع الكاتب تشارلز ديكنز الخطوط العريضة لروايته الشهيرة «ديفيد كوبير فيلد»، أما تشارلز داروين فيقال إنه خلال إقامته في هذه الجزيرة وضع الملاحظات الأولى لكتابه «أصل الأنواع». وبين الكتابة الأدبية والتأليف العلمي وُجد من أراد أن ينعم فقط بجمال الخالق في ما خلق، فكانت الجزيرة المكان الأمثل الذي كانت تمضي فيه الملكة فيكتوريا إجازتها بعيداً عن مشاكل حكم البلاد التي لا تغيب عنها الشمس.

تعتبر الجزيرة كنزاً لاكتشافات تعود إلى ما قبل التاريخ، ففيها وُجدت آثار ديناصورات ما قبل التاريخ والعمران القبلي، كما ترك الرومان فيها معالم فريدة تأخذ الألباب.
شكّلت الجزيرة موقعاً استراتيجياً للحروب التي كانت تُشن على بريطانيا فكانت المدخل الحدودي للغزاة الذي دارت عليه معارك استبسل خلالها السكان في الدفاع عن جزيرتهم الجميلة، مما دفع السلطات البريطانية إلى وضع خطة دفاعية قوامها ثلاث قواعد هي: قوّة عسكرية محلية ونظام تحذيري و بناء الحصون. واستغرق بناء الحصون حقبتين، الأولى في عهد الملك هنري الثامن الذي أمر بتشييد القلاع البحرية بين عامي 1539 و1540، أما الحقبة الثانية فقد امتدت من عام 1855 حتى اندلاع الحرب العالمية الأولى.

تضم الجزيرة العديد من القصور والكنائس والمزارع والقلاع التاريخية التي تأخذ زوارها إلى عالم فريد لم تجرؤ أيادي العصر على لمسه. تضم هيل توب ياربورو Yarborough وقصر تنيسون في تنيسون داون الذي كان مقر إقامة اللورد ألفريد والذي يقال إن اللورد كتب روايته The Charge of light Brigade أثناء إقامته فيه، وفي كنيسة سانت كاثرين يبدو نمط فن المعماري الروسي حاضراً ببهاء في حين لا تزال منارة بيبربوت التي تعود إلى القرن الرابع عشر محافظة على الأسلوب المعماري المحلي.

تنتشر القلاع في جميع أرجاء الجزيرة خصوصاً تلك التي بناها الملك هنري الثامن واللورد بالمرستون والتي لعبت دوراً استراتيجياً مهماً في تاريخ الجزيرة. ويستحضر قصر كاريسبروك الذي يعود إلى عصر النورمان التاريخ بكل تفاصليه. يعيش زوار قصور يارموث ونيدليس أولد باتري وقلعة فيكتوريا مغامرة عسكرية تاريخية تعكس بسالة سكان الجزيرة. في حين ينقلهم قصر أوزبورن الذي شيدّته الملكة فيكتوريا والأمير ألبرت إلى عالم ملكي يضج بنمط الفن الفيكتوري بكل فخامته حيث لا تزال أجنحته تحتفظ بمقتنيات الملكة فيكتوريا. وتكشف أروقة المدينة القديمة التراث التاريخي حيث امتزج الفن القديم بالحديث لتنبثق منه أعمال رائعة من حلي وفخاريات تسكن في بوتيكات أنيقة تثير في زائرها شهية التسوّق من دون حساب.

وعند نيوبورت تتجاور المطاعم ومقاهي الرصيف والبوتيكات التي تعرض الفضيات والأعمال الحرفية، وتتحوّل ساحة توماس أيام الجمعة إلى بازار يعرف بسوق المزارعين يعرض جميع أنواع المنتجات الزراعية حيث تتنافس خوابي العسل وقطع الجبن وشرائح اللحم الطازج على إثارة شهية المتجوّل في السوق. وقد يتردد الزائر في التوجه إلى غارليك فارم فالاسم يوحي أنه سوق يقتصر على بيع الثوم غير أن هذا السوق متخصص في بيع كل أنواع البهارات، إضافة إلى خبز الثوم المحضّر من دقيق خاص بمنطقة كالبورن.

تعدّ الجزيرة من المناطق البريطانية القليلة التي توفر للعائلة تجربة تسوّق فريدة خصوصاً في ما يتعلّق بالأدوات الكهربائية والآلات الموسيقية وألعاب الأطفال الحديثة والتي تعتبر أسعارها معقولة. فيما يجد فيها المراهقون مرتعهم لابتياع آخر صيحات الموضة من ملابس وأحذية رياضية تلبي أذواقهم.

وفي شارع رايد Ryde تتباهى البوتيكات في عرض الملابس العصرية والمجوهرات لأشهر دور الأزياء البريطانية والعالمية، ويقع على مقربة منه شارع رويال فيكتوريا الذي يضج بالمكتبات والأسواق التي تقع تحت الأرض فيظن المتجوّل أنه دخل مغارة علاء الدين يكتشف فيها الروائع التي تخبئها بين جدرانها.

لا عجب أن تكون جزيرة أوف وايت ملهمة الكتاب والأدباء فزيارتها مغامرة من مغامرات "أليس في بلاد العجائب" غير أن عالم أليس افتراضي يسكن في خيالاتنا الطفولية وعالم أوف وايت واقعي يسكن في القسم الآخر من الكرة الأرضية.

بيترسبورغ

مدينة أباطرة روسيا عشقها ألكسندر بوشكين

بيترسبورغ أو بطرسبرغ عاصمة قياصرة الإمبراطورية الروسية تشاطر نهر نيفا الذي يخترقها تاريخاً قديماً، يقرآن أوراقه كلّما هبّت ريح الزمان وقلّبت فيها، غير آبهين بتبدّل أمزجته، يحفران في تجاعيده قصصاً جميلة تمنح كهولة الزمن إكسير الشباب ليجدد رونق المدينة وسحرها مع كل بزوغ لخيوط الشمس الأرجوانية وهي تجتاح القباب المذهبة، فتتحوّل المدينة إلى متحف لا يخشى على كنوزه عوادي الزمن، بل يعرضها بأبهة القياصرة وترف الحياة المخملية التي انفلتت من سيرورة التاريخ، متحدية شيوعية الثورة البولشفية ورمادية تقشفها، لتبقى ساكنة في قصور باذخة الفن متناثرة في كل أرجاء بيترسبورغ.

أسس بيترسبورغ بطرس الكبير لتكون نافذة روسيا نحو الغرب، فأرادها أن تكون النموذج الأوروبي لروسيا، مما يفسر شبهها الكبير ببندقية إيطاليا من حيث الجسور المعلّقة فوق نهر نيفا والقنوات المائية التي تتسرب بين المباني التاريخية...عرفت باسم بترو غراد بين عامي ١٩١٤ و ١٩٢٤ ولنينغراد بين عامي ١٩٢٤ و ١٩٩١. كما أطلق عليها سكان المدينة اسم بيتر، وتعتبر عاصمة الشمال بالنسبة إلى الروس و يطلقون عليها أيضاً اسم بندقية الشمال. تقوم بيترسبورغ على دلتا نهر نيفا في عمق خليج فنلندا عند بحر البلطيق، تبلغ مساحتها ٦٠٦ كيلومترات مربّعة تعوم ١٠ في المئة منها على المياه، تتألف المدينة من ٤٣ جزيرة، وتنخفض عن مستوى بحر البلطيق من مترين إلى أربعة.

وإذا كانت موسكو عاصمة روسيا الأكثر شرقية في أوروبا فإن بيترسبورغ المدينة الأكثر أوروبية في روسيا. وإذا كانت الأولى تعرف كيف تدهش زائرها بروائعها الفنية فإن الثانية تعرف كيف تجعله شغوفاً بها إلى حد الخدر. فلا عجب أن تكون بيترسبورغ المدينة التي تفتقت فيها قريحة الشاعر ألكسندر بوشكين والتي اختار العيش فيها حتى مماته رغم أنه وُلد في موسكو. وهي المدينة التي تبدأ فيها أحداث رواية «الحرب والسلم»، إحدى روائع الأدب الروسي لـ ليو تولستوي، حيث القلق من اجتياح نابليون بونابرت لأوروبا في أروقة قصور بيترسبورغ يوم كانت عاصمة الإمبراطورية الروسية، لتنتقل الأحداث إلى موسكو حيث اندلعت الشرارة الأولى للثورة. وهي المدينة التي تعرّف فيها فيودور دوستويفسكي إلى آداب عصر النهضة الأوروبية فأبدع في روايته "الأخوة كارمازوف". والمفارقة أن جميع هؤلاء الأدباء ولدوا في موسكو وعاشوا في بيترسبورغ وماتوا فيها، فكأنما المدينتان تتنافسان بصمت يشبه جدل التاريخ الروسي.

ومهما يكن من أحداث تاريخية وأدبية وشعرية كتبتها المدينتان في ثنايا تاريخهما، فإن بيترسبورغ مدينة تفور جمالا، يحوّل برد الشمال الأوروبي إلى دفء يسكن بين أبنيتها التي جاءت على النمط الفن القوطي، بأبهته وأروقة عيشه المخملي حيث ثرثرة الأميرات تختلط بحفيف فساتينهن، وقلق الأمراء والضباط من أحلام بونابرت التوسعية، وموسيقى «كسّارة البندق» لتشايكوفسكي تصدح في فضاء الأوبرا لتتمايل عليها أجساد رشيقة، تكسر رتابة الزمن الشيوعي.

ساحة دفورتسوفايا

خلال قرنين كانت الإمبراطورية الروسية المترامية الأطراف تُحكم من مربع تبلغ مساحته نصف كيلومتر، بين ساحة ديكابريستوف وساحة دفورتسوفايا حيث تمتد جادة نفيسكي.

وساحة دفورتسوفايا هي الشاهد الصامت على الثورة التي قامت بين عامي ١٩٠٥ و١٩١٧ والتظاهرات التي نادت بالديموقراطية. يشرف على الساحة قصر الشتاء ذو الظلال الخضراء والبيضاء، وهو تحفة المهندس المعماري الإيطالي راستريللي الذي أبرز روح فن الروكوكو بأعمدته الكثيرة ومجسماته الضخمة. أما الهندسة الداخلية للقصر فقد جاءت على النمط الكلاسيكي نزولاً عند رغبة كاثرين الثانية والأباطرة الذين تلوها، فقد كان القصر مركز إقامتهم بين عامي ١٧٦٢ و ١٩١٧، ويضم متحفاً مؤلفاً من ثلاثة مبانٍ هي:المنزل الريفي الكبير والمنزل الريفي الصغير ومسرح، وتضم كلّها مجموعة رائعة من اللوحات. وبدوره يضم المتحف أجنحة تعرض لحقبة ما قبل التاريخ، ومجموعات من الفن اليوناني- الروماني، ومصر الفرعونية، وروسيا الشرقية. وعند أقصى الساحة يقف نشاب إمارة البحر المذهّب الذي كان سياج البحرية الروسية

بين عامي ١٧١١ و ١٩١٧. واللافت أنه رغم صلابة مظهره فهو مصنوع من الخشب وكاد يصبح منخوراً تماماً قبل إعادة ترميمه عام ١٩٩٦. وبالقرب منه مبنى المدرسة البحرية الذي شُيّد على النمط النيوكلاسيكي بين عام ١٨٠٦ و ١٨٢٣. كما تضم الساحة كاتدرائية القديس إسحاق التي تتميز بقبتها المذهبة والتي صممها المهندس الفرنسي مونتفران.

جادة نيفسكي

تعتبر جادة نفيسكي شانزيليزيه بيترسبورغ. فهذا الشريان الرحب تصطف على طرفيه المباني الفخمة على امتداد أربعة كيلومترات، من إمارة البحر إلى دير ألكسندر نيفسكي وعلى جرف نهر نيفا. وتشكل الجادة عصب بيترسبورغ الحيوي، خصوصاً خلال أمسيات الصيف الفضية. ففي هذه الجادة سكن عظماء روسيا من أدباء وموسيقيين أمثال الكاتبين غوغول ودوستويفسكي والموسيقيين تشايكوفسكي وريمسكي كورساكوف.

يقال «عندما تتنزه في جادة كيفينسكي ارفع رأسك كي لا تفوتك تفاصيل الهندسة المعمارية». بداية من كاتدرائية كازان التي شيدت على نمط الفن المعاصر، وأقواس المخازن الكبرى غوستيني دفور، والساحة الواسعة حيث يقف مجسم كاثرين الثانية محاطة بعشاقها. وتتجاور عند طرفي الجادة البوتيكات التي جاءت هندستها الداخلية على نمط فن قرن التاسع عشر و الفن المعاصر. أما بلاط سان بيترسبورغ فيجعلك تتصور غياب العدالة الاجتماعية بين الطبقة الأرستقراطية و عامة الشعب، مما قاد إلى الثورة البولشفية عام ١٩١٧.

وعند أقصى جادة نيفسكي يقع قصر بيلوسيلسكي- بيلوزرسكي الذي يعود إلى القرن التاسع عشر والذي أصبح مركز الحزب الشيوعي بعد الثورة البولشفية إلى أن سقطت الشيوعية عام ١٩٩١. أما قصر ستروغانوف الذي صممه عام ١٧٥٤ راستيللي المهندس المفضل عند الإمبراطورة أليزابيت والتي يقال إنه كان خليلها، فقد جاءت واجهته الخارجية على النمط الباروكي وطلي باللونين الأخضر والأبيض، ويضم القصر مجموعة من اللوحات والأيقونات النادرة.

حديقة القصر الصيفي

قرب جادة نيفسكي وبمحاذاة نهر نيفا يقع متنزه استوحي من حدائق قصر فرساي الغنّاء. ففي القرن التاسع عشر كان أبناء الطبقة الأرستقراطية في بيتر سبورغ يحبون التنزه وسط نوافيره ومجسماته الموزعة في شكل متناسق. وعند أقصى المتنزه يقع القصر الصيفي الذي شيد من أجل بطرس الكبير، وكان أول قصر في بيتر سبورغ.

جزيرة فاسيليفسكي

عند فم نهر نيفا تعوم كبرى جزر بيترسبورغ حيث تحتشد المواقع الرئيسة عند الجهة المشرقية مقابل إمارة البحر.تحتوي الجزيرة على عدد من المتاحف منها متحف البحرية الحربي، ومتحف الحيوان ومتحف أكاديمية الفنون الجميل. وتنتشر في الجزيرة أعمدة مزدانة بأشكال على طرف حيزومي تخليداً للنصر في المواقع البحرية، ومنارات مزركشة بمقدّمات السفن. وتحوّل قصر مانشيكوف الذي شيد عام ١٧٠٧ وعاش فيه حاكم بيتر سبورغ، إلى متحف يضم أثاثاً يعود إلى القرن الثامن عشر.كل شيء في بيترسبورغ يحكي تاريخ عظمة القياصرة متجاهلاً عقوداً من الشيوعية التي لم تتمكن من محو ذاكرة التاريخ، بل وقفت عاجزة أمام سحر المدينة الطبيعي والتاريخي

ليفربول مدينة «البيتلز»

لا تنسى مبدعيها

ليفربول. اسم يرتبط في ذاكرتي بفريق ليفربول الإنكليزي لكرة القدم، و فريق البيتلز الذي اكتسحت شهرته العالم في ستينات القرن الماضي. والفريقان خفقت وما زالت تخفق لهما قلوب الملايين. فكُرة ليفربول تراقص الأقدام والقلوب والأعين في آن واحد لتفاجئ الشباك بهدف يفرج عن الأنفاس بعدما حبسها لثوان يُظن أثناء انتظاره أنها ساعات. بينما ترقّص موسيقى البيتلز أجساد وآذان وأحلام الملايين من كل أنحاء العالم لتأخذهم إلى عالم موسيقي تنفلت الروح في أفلاكه.

عندما قررت السفر إلى ليفربول لم أفكر في ساعاته ومسافاته، وركبت القطار من لندن العاصمة إلى هذه المدينة الواقعة شمال غرب إنكلترا عند مصب نهر ميرسي وعلى مسافة زمنية تبلغ ٣٠ دقيقة عن مانشستير مدينة فريق كرة القدم المنافس. ثلاث ساعات تفصلني عن عاصمة الثقافة الأوروبية لعام ٢٠٠٨ أمضيتها بين قراءة الكتيب السياحي للمدينة والدندنة مع جون لينون أحد أعضاء البيتلز الغني عن التعريف أغنية Imagine «تخيل»، هذه الأغنية التي استعيرت منها جملة «فوقنا السماء فقط» Above us only sky وكتبت فوق مجسّم جون لينون البرونزي الذي وضع في مدخل مطار ليفربول بعدما أطلق عليه اسم مطار جون لينيون. ورحت أتخيل ليس ما تقوله الأغنية، بل المدينة التي عرفتها قبل أن ألتقيها.

توقفت عجلات القطار وتوقفت معها أفكاري الافتراضية، لأغوص في عالم المدينة الواقعي .ها أنا في ليفربول موطن البيتلز أقف في وسطها أتأمل أبنية قديمة تجاور معالم أثرية رائعة. كاتدرائيات ذات هندسة معمارية فريدة تأخذك إلى أمجاد الإمبراطورية التي كانت لا تغيب عنها الشمس، ومتاجر تضج بالحركة التي لا تتوقف مثل نهر مرسي الذي تستلقي المدينة على ضفته اليمنى. لم يختلف المشهد كثيراً عن لندن، فهنا تبدو خيوط الشمس مترددة في اختراقها الضباب الذي يغلف المدينة، والسكان منهمكون بأعمالهم وكأنهم يسابقون الزمن الذي لا ينتظر.

ركبت سيارة أجرة وتوجهت إلى الفندق. كان السائق مهذباً ولبقاً. سألني هل زرت ليفربول من قبل؟ أجبته لا ولكني أعرف الكثير عنها خصوصاً البيتلز تعجب أنني من الشرق الأوسط وأعرف الكثير عن ثقافة الإنكليز القديمة والمعاصرة. شعرت بأن المواقف والحوارات تتكرر معي في كل مرة أزور فيها بلداً أوروبياً، خصوصاً استغراب الناس فيها مما أعرفه، وفي كل مرة أؤكد لمن ألتقيهم أننا في العالم العربي نعرف عنهم أكثر ممن يعرفونه عنا.

وصلت إلى الفندق ورحب بي موظف الاستقبال بالابتسامة نفسها التي اعتدتها من الانكليز. وكالعادة نفّذت قراري المسبق باكتشاف المدينة لحظة وصولي.

رحلة اكتشافي لليفربول بدأت من ألبرت دوك. للوهلة الأولى ظننت أنني في مدينة البندقية فالمنطقة بنيت كلها على حوض مائي تتماوج فيه العبّارات في المياه وبين أبنيتها المتلاصقة ذات النمط الفيكتوري وقد ذهّبتها خيوط الشمس فزادتها هيبة وفخامة كما أرادها الأمير ألبرت الذي افتتحها بنفسه عام ١٨٤٦، فكانت النموذج الأول في العالم لبناء رصيف سفن مغلق.

يبدو على سكان ليفربول الفخر بمدينتهم، هذا ما استنتجته من النادل أثناء تناولي القهوة في أحد المقاهي المنتشرة على رصيف المنطقة. فقد قال لي إن هذه المقاهي والبوتيكات والنوادي الليلية والمتاحف كانت مخازن توضع فيها البضائع التي تحملها السفن، وقد أعيد ترميمها لتكون رمز الأمل لكل المدن البريطانية.

بعد تناولي القهوة بدأت جولتي في متحف ميرسيسايد البحري Mersyside Maritime Museum الذي يحتضن ذاكرة نشاط المدينة البحري. وعلى مقربة من الرصيف يحتضن تايت ليفربول Liverpool Tate المجموعة الوطنية للفن الحديث والمعاصر خارج لندن. أما متحف البيتلز كان في حاجة إلى ترميم. عندما دلفت إليه شعرت برهبة السنين والشهرة، خصوصاً عندما حاولت لمس بيانو جون لينون الذي عزف عليه أول نوتات أغنية Imagine. وفي الجهة الأخرى من ألبرت دوك يقع متحف حياة ليفربول Museum of Liverpool life وهو خاص بفناني ميرسيسايد ولاعبي كرة القدم والصناعة المحلية والبرامج التلفزيونية.

أخذتني قدماي إلى شمال ألبرت دوك حيث توجد منطقة بيير هيد Pier Head التي شيدت عام ١٧٦٠ ولا تزال حتى اليوم تلعب دورها كرصيف للعبّارات التي تعبر إلى بيركينهيد. تطغى على هذه المنطقة ثلاثة أبنية رئيسة تذكر بأمجاد ليفربول، وهي مبنى مرفأ ليفربول الذي شيد عام ١٩٠٧ ويتميز بقبته التي تذكر بكاتدرائية سانت بول الموجودة في لندن، ومبنى كيونارد الذي يعود إلى العام ١٩١٦ وقد شيد على النمط الإيطالي، ومبنى رويال ليفر المشهور بمجسمات طائر الليفر البرونزية، الذي أصبح شعار المدينة. ولهذا الطائر حكاية طريفة، فقد تحوّل خلال العصور إلى غاقّة وهو من فصيلة البجع، وتحوّلت زهرة الزنبق التي يحملها في منقاره إلى طحلب

لفتني جوهر الحكاية ولم أستطع إلا مقارنتها مع النظرية التطورية لداروين، فهنا التحوّل لم تتدخل فيه الطبيعة بل خيال الإنسان.

وفي وسط هذا الجمال الطبيعي والإنساني تنبّهت إلى أن المغيب قد اجتاح ثلث السماء، ولوّحت خيوط الشمس الأرجوانية الأبنية والمرفأ والبحر، وبدأت الأنوار الكهربائية بالانبلاج كأنها تعلن انكشاف وجه آخر لليفربول. قاومت تعب السفر وتآمرت مع جسدي على الوقت، وقررت التوجه إلى شارع ماثيو ستريت، فمكوثي في ليفربول لا يتعدى الثلاثة أيام وعليّ الاستفادة من كل لحظة أمضيها في هذه المدينة.

في هذا ماثيو ستريت يبدو الهوس بفريق البيتلز في كل ركن ومقهى وملهى ليلي ورواق. ففي كهف كان مخزناً ذا نمط فيكتوري، يقع كافرن كلوب الذي استقبل بين عامي ١٩٦١ و ١٩٦٣ ، ٢٩٢ حفلة للبيتلز أو كما يقول عنهم سكان المدينة «الشبان الأربعة في وسط الريح»، وشهد هذا الملهى أيضاً انطلاقة براين أبتسين العضو الخامس في الفريق.

أعيد تشييد النادي عام ١٩٨٤ وتملكه حالياً شركة ماجيكال ميستيري التي تنظّم رحلات محلية للسياح، يجولون خلالها على بيوت أفراد فريق البيتلز والمدارس التي تخرّجوا منها والبيوت التي ولدوا دون إغفال أماكن مهمة مثل بيني لاين.

عرجت على مقهى ذا غريبس The Grapes الذي كان البيتلز يترددون إليه خلال حفلاتهم ليأخذوا قسطاً من الراحة، وقد استطاع هذا الملهى البقاء على سيرته الأولى على عكس الملاهي الأخرى مثل «رود أيستر بار» و«لينون بار» و«لوسي إن ذا ساكاي كافيه» الذي لم يُبقِ من البيتلز سوى اسم الأغنية.

في وسط عالم البيتلز هذا لم أتنبه إلى الوقت إلا عندما لاحظت أن زحمة رواد السهر بدأت تزداد، فقررت الاكتفاء بهذه الجرعة من عالم موسيقى ستينات القرن الماضي وأهوائه ومشاهيره وأروقة إيقاعاته وعدت إلى الفندق حاملة في ذاكرتي صوراً اندس فيها التاريخ بكل بهائه.

في صباح اليوم التالي كنت على موعد مع وجه آخر لليفربول.

تناولت فطوري بنهم إذ أنني نسيت أن أتناول الطعام اليوم الفائت... ربما أكثرت من تناول وجبات التاريخ والفن والموسيقى إلى حد التخمة! تركت الفندق وتوجهت إلى وولكر آرت غاليري. في هذا الغاليري رحت أتأمل صورة جورج هاريسون العضو الخامس في فريق البيتيلز، عينان صافيتان وشعر طويل وابتسامة غامضة كأنه يتأمل أعمال قبرافائلية (يطلق هذا الاسم على أعمال الرسامين الإنكليز الذين أرادوا تجديد الرسم بتقليد الرسامين الإيطاليين السابقين لرفائيل) المعروضة في الغاليري.

وبين اللوحات الموجودة سافرت بين أعمال رائعة مثل حلم دانتي لروسيتي، لورينزو وإيزابيللا لميلي، أو الإدراك المتيقظ لهولمان هانت، وحملتني لوحة اللورد ليتون « بيرسي وأندروماد» إلى عالم الفن الفيكتوري بكل ألقه أما لوحة «Father And when did you last see your?» لدابليو أف ييم فقد جعلتني أفكر لمَ أطلق هذا الرسام هذا الاسم على لوحته! فعلاً يحق لخيال الرسام ما لا يحق لغيره. في هذا الغاليري احتشدت أعمال لرسامين إيطاليين و انطباعيين وكذلك لرسامين معاصرين مثل ديفيد هوكناي.

تركت الغاليري وسرت قدماً نحو شارع لايم ستريت أحد شوارع المدينة الرئيسية. ومرة أخرى الروائع تنتشر في كل الأماكن. ففي مقابل مبنى يعود إلى القرن التاسع عشر يقف مبنى سانت جورج واحد من أكثر المعالم فخامة. شيّد عام ١٨٥٤ ويعتبر واحداً من أروع نماذج فن النيوكلاسيكي في العالم. فواجهته، الخارجية تعطي انطباعاً أنه معبد يوناني، بينما بني بلاطه وقاعته الداخلية على النمط الروماني.

وإذا كان مبني سانت جورج يجمع عالمين قديمين، فإن الفنادق الموجودة في لايم ستريت تعكس روح القرن العشرين بكل أهوائه. ففندق أميركان بار American Bar الذي نزل فيه الجنود الأميركيون خلال الحرب العالمية الثانية نموذج لأسلوب حياة جديد نشأ مع خريطة العالم الحديث،

وعلى مسافة خطوات منه يقع فندق فاينز Vines وهو نموذج رائع للقصور التي شيدت في بداية القرن العشرين، وفندق أدلفي الذي يستقبل النزلاء الذين يعبرون الأطلسي. أخذتني ليفيربول إلى عالم يتمايل على إيقاعات الزمن الجميل. إنها المدينة التي عرفت كيف تكرم مبدعيها، وتبهر زوارها بسحرها الطبيعي والإنساني. غريبة ليفربول!

إنها مدينة محيّرة جعلتني أطرح سؤالاً عن قصة العشق بينها وبين الفن. هل هي تعشق الفن، أم الفن عشقها؟ فكل شيء فيها ينطق فناً، الموسيقى والرسم والمعمار وحتى كرة القدم. فلا عجب أن تكون عاصمة الثقافة الأوروبية لعام ٢٠٠٨.

فرانكفورت مدينة غوته

التاريخ والحداثة متناغمان إلى حد الشغف

فرانكفورت- ديانا حدّراة

ألمانيا. هذه البلاد التي تعرفت إليها خلال دراستي الجامعية عبر فلاسفتها، يوهان غوتيه ولودفيك بوخنر وفرديريك نيتشيه وسيرن كيركيغارد وغيرهم ممن أثروا في تشكيل هويتي الفكرية، وأخذتني موسيقى بيتهوفن الكلاسيكية إلى عالم مخملي يختلط فيه صدى حفيف فساتين كونتيسات ودوقات يهرولن لحضور عرض موسيقي في إحدى دور أوبرا عصر النهضة، ونبّهتني موسيقى التكنو التي انطلقت على وقع سقوط جدار برلين إلى بزوغ عالم جديد بدأ بابتلاع العقد الأخير للقرن العشرين الذي لم يعد فيه مكان لشيوعية كارل ماركس. أما أخوتي الذين اتخذوها موطنهم الثاني، ووالدتي التي لا تنفك تقول عنها إنها من أجمل البلدان الأوروبية التي زارتها، فقد زادوا فضولي للتعرف إليها. كل هذه الأفكار انبثقت من لاوعيي الثقافي والعائلي، عندما اتصل بي جان بيار منظّم الرحلة ليقول لي هل ترغبين في زيارة ألمانيا! ومحطتي الأولى كانت فرانكفورت.

كانت رحلة إلى فرانكفورت طويلة... . لكن تجربة التحليق في الفضاء عبر طيران الاتحاد زادت مغامرة السفر متعة.
حطت الطائرة على مدرج مطار فرانكفورت وتوجهنا إلى بوابة عبور العالم الألماني نحو فندق ذا ويستن The Westin Grand Frankfurt.

سيراً على الأقدام إلى ساحة رومربيرغ القريبة من الفندق

الطريق إلى الساحة مرصوفة بالحجارة والمتاجر والبوتيكات مقفلة، لكن يبدو أن الناس قرروا أن يعيشوا الوجه الآخر لفرانكفورت خصوصاً في شهر تشرين الأول/ أوكتوبر الذي يبدأ فيه معرض فرانكفورت للكتاب فتجد فيها الناس من جميع الألسن والعرقيات حوّلوا فرانكفورت إلى مدينة عالمية بكل ما للكلمة من معنى.
وصلنا إلى ساحة روميربورغ التي تحلقت حولها الأبنية المتلاصقة ذات الواجهات التي صممت على النمط النيو قوطي. لم نتوقف كثيراً في الساحة بل توجهنا إلى أحد الأزقة المتفرعة منها حيث يوجد مطعم «شفارتزر ستيرن» وهو أحد المطاعم التقليدية في فرانكفورت. توالت علينا الأطباق، وبصراحة لم أكن أتوقع أن يكون المطبخ الألماني لذيذاً إلى هذه الدرجة، بدءاً من المقبلات انتهاء بالحلوى.

كانت شوارع المدينة مكتظة بالناس. عبرنا جسوراً عدة تعوم فوق نهر الماين الذي يخترق المدينة ويقسمها قسمين. بدت لي البيوت والفنادق المنتشرة على ضفتي النهر لوحة زيتية تختلط فيها الهندسة المعمارية الفريدة والأشجار التي اكتست ألواناً لا يمكن أحداً أن يبتكرها مهما بلغت عبقريته الفنية. توقفت الحافلة عند مدخل قصر ذي حديقة تنتشر فيها المنحوتات الفنية وتعج بالأشجار الوارفة، لكنه لم يكن قصراً بل متحف لايبيغ هاوس الواقع في الضفة الجنوبية لنهر الماين والذي شُيّد عام ١٨٩٦ للبارون هاينريش لآيبيغ ومن ثم أصبح متحفاً يضم منحوتات تعرض لمختلف حقبات التاريخ الإنساني بدءاً من السومريين و الفراعنة مروراً بالإغريق والرومان وصولاً إلى العصر الباروكي وعصر النهضة. يضم المتحف إضافة إلى المنحوتات والأعمال الفنية مقهى.

بعد زيارة المتحف توجهنا إلى منزل ومتحف الأديب الألماني يوهان غوته الذي عرفته من خلال روايتيه «آلام فارتر» و«فاوست». كنت شديدة الحماسة لاكتشاف المنزل الذي ولد فيه هذا الأديب. وخلال رحلة الحماسة هذه كانت فرانكفورت تكشف لي وجوهها، إذ لفتني تجاور الأبنية القديمة ذات الواجهات الخشبية والأسطح ذات القرميد الرمادي الداكن، وناطحات سحاب عصرية تغلّفها واجهات زجاجية تحوّلت إلى لوحات تتماوج على صفحاتها البيوت القديمة والماين والأشجار الوارفة الألوان مما زاد المدينة جمالاً متحركاً، فكأن الحداثة تأبى أن تقزّم التاريخ بعصريتها العملاقة. وتتفرع من الشوارع الحديثة الإسفلتية الشوارع

المرصوفة بالحجارة الرمادية تنتشر فيها ساحات عامة تتوسطها ينابيع ماء تعوم فيها منحوتات حجرية وبرونزية تعكس شغف الألمان بالفن وبتشبثهم بتاريخهم.

أخيراً وصلنا إلى متحف غوته ومنزله. فها أنا أخترق حديقة المنزل ثم بابه الرئيسي وأطوف في عالم غوته الحميم، فهنا في هذا الجناح كان يتناول طعامه، وفي ذاك الجناح كان يطالع، وهذه غرفة شقيقته، وهنا مكتب والده. تعرّض البيت والمتحف للقصف الجوي خلال الحرب العالمية الثانية وأعيد ترميمهما بين عامي ١٩٤٧ و ١٩٥١ ليعودا إلى سيرتهما الأولى كما أرادهما والد غوته.

انتهت الجولة في المنزل والمتحف وتوجهنا إلى ساحة رومبيرغ التي عبرناها في الليلة الماضية وكانت مزدحمة بالمشاة وبروّاد مقاهي الرصيف المتحلقة حولها. أما أطرافها انتشرت فيها مواقف الدراجات الهوائية. هذه الساحة تعرضت للدمار خلال الحرب العالمية الثانية، وقد أعيد ترميمها كما كانت عليه في القرن التاسع عشر، إذ وجد المهندسون أن الهندسة المعمارية التي درجت في ستينات القرن الماضي وسبعيناته لا تنسجم مع البعد التاريخي لهذه الساحة وروح النوستالجيا التي يحملها الألمان في جعبتهم الثقافية، فقُرر تشييد الأبنية على النمط نيو القوطي. يتوسط الساحة نبع العدالة الذي بني عام ١٥٤٣، ويقف في مقابلها مبنى البلدية وكنيسة نيكولايريتش ذات النمط القوطي التي تعود إلى القرن الثالث عشر والتي أعيد ترميمها عام ١٩٥١.

التوجه إلى مدينة بادن- بادن

للمرة الأخيرة حاولت أن ألتقط الصور، فالفندق قريب من السوق التجاري حيث تنتشر بوتيكات لأهم دور الأزياء العالمية،

ودّعت فرانكفورت وأنا أردد قول غوته : «لو استمر ظهور قوس قزح ربع ساعة فإننا لن ننظر إليه». وهكذا كانت حالي مع فرانكفورت، فعلاقتي بها تشبه ظهور قوس قزح الخاطف. ورغم تآمر الوقت علي فإنني رصدت بعضاً من تفاصيلها وأسرارها علني في الزيارة الثانية أكتشف الأعظم من خفاياها. ورحت أسأل نفسي هل ستكون زيارتي لـ بادن- بادن قوس قزحية

روائع العالم في موسكو

نور قطان - روسيا

روسيا، التي كانت امبراطورية القياصرة الواسعة، هي أكبر دول العالم مساحةً، تمتد في شرق أوروبا وفي آسيا بين البلطيق والمحيط المتجمد الشمالي والبحر الاسود وبحر قزوين والمحيط الهادئ على مساحة ١٧ مليوناً و ٧٥ ألفاً و ٤٠٠ كيلو متر مربع. عاصمتها موسكو ومن أهم مدنها سان بيترسبورغ.

رحلتي الى تلك البلاد لم تكن متوقعة. «الذهاب الى روسيا» مفاجأة حملها زوجي لي وانا لم اهتم يوما بالسفر الى تلك البلاد، كما انني كنت استعد لرحلة اوروبية لكنني شاركت زوجي رغبته عندما قال لي: «اوروبا يمكن الذهاب اليها دون مشاركة أحد اذا رغبنا، اما روسيا فالسفر اليها يحتم علينا البقاء ضمن مجموعة... ولدينا فرصة الآن لهذه الرحلة السياحية التي تنظمها احدى المراكز الدينية وعلينا الإسراع في الحجز... فوافقته رغبته».

بعد التحضيرات، انطلقنا الى تلك البلاد الساحرة ضمن مجموعة ضمت ٤٥ سائحاً. السفر مع الطيران الروسي كان مريحا وخاصة ان روسيا تبعد عن بيروت ثلاث ساعات ونصف ساعة فقط لذلك اعتبرها لقصر المسافة «رحلة ممتعة».

في الصباح الباكر وصلنا الى مطار موسكو حيث كانت تنتظرنا دليلة سياحية من الشركة المتعاونة لتنظيم هذه الرحلة.

محطتنا الاولى كانت لتناول الفطور في احد المقاهي الذي زُيّنت جدرانه بالرسوم الملونة التي تلونت معها فناجين الشاي. بعدها اتجهنا الى الكرملين الذي يقبع على تلة تشرف على منطقة موسكوفا وضفاف نهر نيغلينايا. ويعتبر الكرملين نقطة موسكو المركزية وقلب العاصمة الروسية ورمز عظمتها، ويعود تاريخه الى القرن الحادي عشر اما شكله الحالي فيعود الى القرن السابع عشر.
ويعرف عن الأمير ايفان الثالث انه من الأمراء الذين طوروا الكرملين (١٤٧٢- ١٥٠٥)، لذلك استقدم اشهر المهندسين والنحاتين الايطاليين. ونزور أولاً «الساحة الحمراء»، وهي اجمل مناطق روسيا على الاطلاق تلفها مراكز العبادة والأبنية الدينية والقصور من الجهات الأربع، وتضم أيضاً القصر الرئاسي حيث المقر الحالي للرئيس ديمتري ميدفيديف.

صرخات تعجب وابتهاج كانت تسمع أثر دخولنا هذه الساحة الحمراء. انها أهم ساحات موسكو واجمل ساحات العالم. كانت تسمى ساحة الحريق وتضم أسواق موسكو القديمة. في القرن السابع عشر اطلق عليها اسم الساحة الحمراء وتعني الساحة «الجميلة» في اللغة السلافية القديمة.

لا سيارات أو أي اطارات أخرى تدخل هذه الساحة ولا حتى الحقائب الكبيرة التي أشارت اليها المرشدة لتركها في الباص.

ويحيط بالساحة كما يحدها سور لينين العظيم الذي يمتد معه بناء لمدفن لينين حيث جثمانه (ويقابله من الجهة المحاذية له حصان كبير بحجم طبيعي من البرونز يرتفع عليه شخصه من البرونز)، ويبلغ طول هذا السور ٢٢٣٥ متراً وارتفاعه يتراوح بين ٥ و ١٩ مترا وعرضه من ٣ امتار ونصف الى ٦ امتار ونصف متر، ويضم ١٨ برجا يتراوح ارتفاعها بين ٢٨ و ٧١ متراً، وأشهر الأبراج هما برج المخلص وبرج الثالوث.

كما تضم الساحة السوق القديم ومتحف التاريخ (قصر السلاح) الذي يحوي ٤،٥ ملايين قطعة من تاريخ روسيا. وهذه الساحة عرفت أعظم أحداث التاريخ في روسيا. وفي الساحة مراكز دينية عديدة.

تكثر الأبنية الحمراء التي تحوط الساحة، وخلف جدار لينين تتوزع قصور ابرزها قصر الامراء وقصر الملذات وقصر البطاركة والقصر الكبير ويعرف بقصر الكرملين أيضاً حيث المقر الرئاسي، وهو مطلي من الخارج

بالأبيض والأصفر، ويعود الى العام ١٨٣٩-١٨٤٩، وتتوزع فيه سبعمئة قاعة تمتاز بالفخامة الفائقة، كما الحق بالقصر آخر يدعى قصر القياصرة.

وفي الساحة سوق قديمة تضم محلات تجارية لابرز الماركات وخاصة من ألبسة، وخلف هذه السوق سوق أخرى حديثة جداً تلبس الحجارة البيضاء بزخرفة وعصرية. كما دخلنا مركزاً تجارياً كبيراً يبرز من خلال عمارته الحديثة غنى هذه البلاد وعراقتها خصوصاً ان موسكو باتت تعرف اليوم بانها ثاني اغنى منطقة في العالم.

موسكو ليلا

لم نكتفِ برؤية المكان نهارا فقررنا العودة اليه ليلاً.
وبعد استراحة قصيرة في فندق «الكورستون» من رحلة الطيران ليلا والتعرف نهاراً إلى معالم موسكو سريعاً في الباص ثم زيارة الكرملين بمراكزه الدينية ومتاحفه وقصوره عدنا في القطار ليلاً لنتشبع من رؤية الكرملين والساحة الحمراء حيث لا يمكن المرء مشاهدتها دون العودة اليها مراراً.

عندما استقلينا القطار لم نكن بمعية مرشد لكن بمرافقة منظم الرحلة، وكانت الطرفة اننا ركبنا الباص غير الصحيح بعدما عرفنا ذلك من أحد الركاب وبصعوبة تكلمنا مع احداهن تتكلم الانكليزية- فعلمنا ان علينا ترك هذا الباص والعودة الى حيث كنا لنستقل قطاراً. لكن لم نستطع جميعنا دخول قطار آخر لانه على الراكب الاسراع في الدخول لأن الوقت محدد ومتى اقفل الباب لا يفتح. وهكذا انقسمنا فريقين. الأول بصحبة منظم الرحلة، والفريق الثاني علق في محطة قطار ليلحق بنا بقطار آخر. ولحسن حظنا ان القطارات كثيرة وانتظارها قصير جداً، فما كان علينا نحن الفريق الأول الا ان نترك القطار في أول محطة لنعود ونلتقي الفريق الاخر لنكمل طريقنا معاً قطعنا سور لينين من جهة النهر لنبلغ الساحة الحمراء ونشهد على روعة الانارة التي تزين كل الأبنية ونرثي لحالنا نحن القادمين من لبنان وما نعيشه من مشاكل انقطاع التيار الكهربائي.

ساحات وقصور ومراكز دينية لا تحصى شاهدناها وكأننا في حلم لا نريد ان نصحو منه، ومن أبرز الأماكن ساحة الكنائس وساحة ايفان. هنا تعرفنا على الاماكن التي كان يتم فيها تنصيب الاباطرة وزواجهم... وبرج الاجراس الذي يحتوي على أكبر جرس في العالم. وقد بني بين ١٥٠٥ و ١٥٠٨ بارتفاع ٦٠ متراً، لكن في العام ١٦٠٠ حمل اسم ايفان الكبير وجعل ارتفاعه ٨١ مترا واضيف هذا البرج الى كنيسة القيامة مع برج اجراسها ليضم اكبر جرس في روسيا والعالم ويسمى «جرس الاعياد».

قصر السلاح

لا يمكن زيارة موسكو دون التعرف الى قصر السلاح... رافقنا الى هذا القصر طقس ماطر، لكن جماله ذلّل كل الصعاب.
انه اقدم المتاحف في روسيا (١٥٤٧) ويضم أهم كنوز الامراء والقياصرة. قديما كان يستخدم كمصنع للاسلحة القديمة ثم تحول الى متحف لها.عند الدخول تطالعنا صناعات روسية. وفي خزائن من زجاج يبرز عدد من كراسي العرش، ومنها عرش الامبراطور مانومارك المصنوع من العاج المحفور بالكامل، وعرش من اصل بيزنطي كان لجدة القيصر ايفان. ويتوسطه نسران هما رمز لروسيا اثناء الثورة البولشفية. وهناك أيضاً عدد كبير من الاعلام التي عرفت بها روسيا، أما علمها اليوم فهو بالأزرق والأحمر والأبيض.

وتشير المرشدة السياحية الى هذا العرش البيزنطي الذي شهد تتويج القياصرة السوفيات كافة، وهو ذاته الذي يعود الى جدة الامبراطور ايفان. ونتطلع الى عرش آخر مصنوع بتصميم شرقي ومزخرف ب ١٥٠٠ حجر كريم و ٨ كيلوغرامات من الذهب الصافي اضافة الى الاحجار الفيروزية. وثمة عروش تعود الى زمن عائلة رومانوف التي حكمت من ١٧١٣ الى ١٩١٧. ويستوقفنا عرش يضم ١٣ كيلوغراماً من الذهب مزخرف ب ٤٥٠٠ حجر كريم ويعود الى اول قيصر من آل رومانوف، ويعرف عن هذا القيصر انه كان ملازماً لعرشه!
وثمة عرش يحوي ٨٥٠٠ حجر كريم هو هدية من جماعة ارمنية لاحد القياصرة. وخلف احد العروش التي تعود الى بطرس الأكبر، نافذة صغيرة كانت تشير من خلالها شقيقة الامبراطور بطرس بنصائحها، وعندما نفد صبره بنى لها حصناً كبيراً اسكنها فيه ليبعدها عنه.

كما يضم هذا القصر مجموعة من تيجان الاباطرة، وأشهرها تاج بطرس الاكبر وتاج بطرس الاصغر وتاج ايفان دو كازان. ولو اردنا سرد ما شاهدنا لن نكف عن الكتابة وخاصة ان القصر مؤلف من طابقين ويضم اضافة الى ما ذكرنا كنزاً ثميناً يبرز جزءاً من تاريخ روسيا.

وتتزين احدى قاعات القصر ب ١٧ عربة خاصة بالقياصرة، وأولاها عربة هدية من ملك انكلترا الى قيصر روسي وكان يجرها ١٠٠ حصان. وعربة من صنع روسي وأخرى تعود الى الامبراطورة التي حكمت روسيا في القرن ال ١٨، وعربات صغيرة خاصة باولاد القياصرة.

وهناك عدد من الاحصنة المحنطة التي تحمل دروعاً وكانت خاصة للسير امام القيصر اذ كان التقليد يحتم سير ١٠٠ حصان امام القيصر.

وزرنا جناحاً خاصاً بثياب العائلة الحاكمة واثواب لمناسبة تتويج زوجات القياصرة . ناهيك بالسجاد والسيوف المطعمة بالماس والذهب والاسلحة... ومحتويات كثيرة من ايقونات وكؤوس ومباخر ذهبية. وهدايا من سفراء وسوى ذلك...

وتبرز اعلى السقف ١٠٥ صور لقياصرة رومانوف الذين عملوا على بناء هذا المكان.

محطات المترو

من الامكنة الجميلة في موسكو محطات المترو التي تمثّل قصوراً تحت الارض. روعتها تكمن في اعمال البرونز وزخرفاتها ولوحاتها من موزاييك ورسم، علما انه قد استعمل فيها نحو عشرين نوعا من الرخام والغرانيت والاونيكس.

لكل محطة مترو زخزفات تركز على موضوع معيّن. فمحطة «كونسومول» تمثل لوحاتها الحربية تاريخ موسكو، اما محطة «كييف» فلوحاتها تعكس حالة الشعب في ظل الاتحاد الروسي، كما توحي ان الدولة كانت في حالة جيدة.

وأثناء رحلتنا مررنا بمقر الوزراء ويسمى أيضاً البيت الأبيض، وشاهدنا جسر السفراء المصنوع من زجاج على حوافه. واليه تكثر الزيارات للامنيات وخاصة للمتزوجين. والى شماله نرى نهر موسكو التي اتخذت منه المدينة اسمها. وعلى ضفاف هذا النهر يتوزع ١٦ مرفأ. كما حط بنا الباص أمام «دير الصبايا» الشهير في موسكو ويقال فيه «كرملين صغير» ويحتوي على ايقونة «سمولنسك» وهي شهيرة جداً في روسيا وتعود الى القرن السادس عشر. كما شاهدنا ناطحة سحاب هي واحدة من سبع ناطحات في موسكو، ومقر الاستديوهات لانتاج الافلام السينمائية وجامعة موسكو.

باريس مدينة لها ألف وجه ووجه

عطلة الأحلام في أيام العيد مع طيران الإمارات

التجول في باريس عاصمة فرنسا في سيارة سيتروان cv2 يمكن الاستغناء عن سقفها، مغامرة باريسية بكل حواسها. المشروع اسمه quatre roues sous un parapluie أي أربع عجلات تحت المظلّة. تدور بك تدور في شوارع باريس التي يكاد التاريخ يكون حاضراً في كل سنتيمتر فيها، فالأبنية التاريخية تتجاور وتتلاصق كأنها شخوص تركها نابليون لتراقب سيرورة التاريخ بكل تناقضاته، تقبع عند أقدامها مقاهي الرصيف التي تعكس أسلوب الحياة الباريسية بكل أناقتها، والشوارع مرصوفة تلزم السيارات بالدوران على مهل، ومستديرات تتوسطها ينابيع هي تحف فنية تعكس شغف فناني عصر النهضة بالفن والجمال. فتستمع بمشهد بانورامي يشعرك بأن التاريخ عملاق يراقب دهشتك ببهائه. تقرر الجلوس في أحد مقاهي الرصيف لتناول القهوة على الطريقة الباريسية تتأمل المارة المنهمكين إما بالذهاب إلى أعمالهم أو السياح المندهشين بسحر المدينة أو تنتقل لديك عدوى التسوق فتقرر الذهاب إلى مركز Printemps بريتان التجاري... الذي يعكس شغف المدينة بالفن والأناقة. يحتوي Printemps على أجنحة للأزياء وأخرى لأدوات التجميل وسبا ومجموعة مطاعم تثير فيك شراهة الأكل.

هذه بعض المدن التي تشملها عروض «الإمارات للعطلات»، وما على العائلة إلا أن تحسم أمرها وتقرر الوجهة السياحية التي تريدها وتحجز تذاكر السفر إليها على رحلات طيران الإمارات، التي توفّر الإقامة الفندقية بالإضافة إلى الكثير من المزايا الفريدة.

روما مدينة التاريخ بكل وجوهه

في رحلة مع طيران الإمارات

إذا قررت وعائلتك تمضية عطلة «ثقافية» غنية بالتاريخ، فإن «الإمارات للعطلات» تأخذك إلى روما، حيث يمكن زيارة المواقع الأثرية ودور الأوبرا الإيطالية، قبل الاسترخاء لتناول القهوة.

روما مدينة يكاد يكون التاريخ فيها محفوراً في كل حجر وفي كل زاوية وفي كل رواق، لتبدو متحفاً يتجاور فيه فن الحياة والروائع الفنية بحرية من دون أن تقع حبيسة الصناديق الزجاجية وملاحظات ممنوع اللمس أو التصوير، بل هي مدينة تركت العنان للمتجوّل ليتنعّم بسحر أمجاد عاصمة العالم القديم من دون قيد وشرط. تعتبر ساحة نافون مكان تجمّع سكان روما وزائريها حيث تفوح من مقاهي الرصيف التي تتحلّق حولها رائحة القهوة الإيطالية بكل أنواعها ممتزجة بروائح البيتزا والباستا. وفي الميدان يجذبك مشهد الناس الذين انهمك بعضهم بارتشاف الكابوتشينو، وبعضهم الآخر بالتهام ما لذ وطاب من المطبخ الإيطالي، فيما آخرون اكتفوا بتأمل التاريخ الذي يحتضنه الميدان.

فولفسبورغ تنطق سحرًا

لا يمكن فك رموزه

عندما دُعيت لزيارة مدينة فولفسبورغ Wolfsburg الألمانية خلال مهرجان موفمنتوس غمرتني السعادة لأنني سأعود إلى ألمانيا ومدنها التي تشبه مدن الخيال الافتراضية حيث كل شيء ينطق جمالاً يقودني، وبإرادتي، إلى متاهة من الموسيقى والأفكار الفلسفية والاختراعات التكنولوجية، فأطلق العنان لذاكرتي لتخزن الصور بتفاصيلها الدقيقة التي استحضرها في كل مرّة أحِنُّ إلى فسحة في مدينة خيالية.

أربع ساعات وعشر دقائق المسافة الزمنية بين بيروت وفرانكفورت التي تعرّفت إليها قبل شهور، ولكن هذه المرّة لن أزورها بل ستكون نقطة العبور التي أنطلق منها إلى مطار هانوفر وأحلّق في الفضاء الألماني مدة ساعة ومن ثم ألى فولفسبورغ.

ها قد وصلنا إلى فولفسبورغ» قال السائق، وأضاف بلهجة يغمرها الفخر لا تزال معالم الاحتفال واضحة لأن فريق فولفسبورغ لكرة القدم فاز على فريق بايرن ميونخ العريق وحزنا كأس البطولة الألمانية، ويوم الأحد كان يوم الاحتفال العظيم». بدورنا هنأناه على الفوز. بالفعل إنها مدينة الفولكس فاغن بامتياز، فكيفما جالت عيناي أجد سيارات الفولكسفاغن بكل أنماطها.

ففولفسبورغ لم تكن سوى قرية صغيرة تضم قصرًا وحيدًا يعود إلى عصر النهضة يقع في حي فالرشليبن، عندما شُيّد فيها مصنع الفولكسفاغن في ١ تموز/ يوليو عام ١٩٣٨ وظهرت للمرة الأولى في تاريخ السيارات سيارة البيتل أو الكوكسينيل. كان المصنع هدف طائرات الحلفاء الحربية خلال الحرب العالمية الثانية فدمرت ثلثيه، وبعد الحرب سُميت المدينة رسميًا فولفسبورغ وارتبط اسمها بالفولكسفاغن. استلم إدارة المصنع المايجور الإنكليزي إيفان هيرست وبدءًا من عام ١٩٥٥ انتج المصنع ملايين سيارات البيتل.

ولجت السيارة في مجمع أوتوشتاد الذي تملكه شركة فولكسفاغن . لم أكن أتوقع أن يكون الأوتوشتاد بهذا النمط المعماري الجميل فقد كنت أظن أنه مجمع صناعي يطغى عليه اللون الفولاذي، ولكن ظني لم يكن في محله، فالحدائق الغنّاء منتشرة في المكان ونوافير المياه تتراقص مع النسمات المنعشة وحشود من التلامذة والزائرين يملأون المكان وبحيرات صغيرة تطفو على سطحها الزهور وربوات خضراء وأبراج زجاجية ترتفع فوق الماء تظهر السيارات على واجهاتها.

زيارة لوسط المدينة

بدأت مغامرتي الألمانية بزيارة لوسط المدينة . صعدت إلى الجسر المعلّق فوق قنال ميتللاند التي تشطر المدينة نصفين. كان المشهد مهيبًا، فالمدينة تضجّ بالأخضر الذي بدا لي أنه يشارك المياه والبواخر والعبارات وقوارب رياضة الكاياك رقصة الفالز على وقع موسيقى موتزارت Mozart المتسربة عبر نسائم الصبا الصيفية من برلين التي تقع غرب فولفسبورغ، ولم أستطع أن أفهم هذه المعادلة البيئية إذ كيف لمدينة تصنّع السيارات أن يكون فضاؤها وهواؤها نقيين إلى هذه الدرجة

تابعت سيري على البساط الكهربائي الممتد على طول الجسر، وتوجهت يسارًا إلى مجمع آوت لت ديزاينر. في هذا المجمع حاولت كبح جماح رغبة التسوّق قدر استطاعتي فالأسعار الخيالية كانت تناديني عبر واجهات البوتيكات الأنيقة التي تعرض لأهم دور عرض الأزياء العالمية، ولكن قاومتها بعدم التوقف كثيرًا أمامها وسرت إلى وسط المدينة التجاري.

فهنا تتجاور مقاهي الرصيف بكل أنماطها وأذواقها، والبوتيكات والمتاجر الكبرى التي يستحيل عليك ألا تدخلها وتشتري. إذ أينما جالت عيناك تجد ملصقًا كُتب عليه حسم ٥٠٪ باللون الأحمر لتفاجأ أن هذا الحسم سبقه حسم ليصل ثمن القطعة أحيانًا إلى ١٢ يورو، فتخيل أنه يمكنك الحصول على أهم الماركات العالمية الأصلية وليست المقلّدة بهذا السعر!

المركز الثقافي

ثم سرنا في حدائق أوتوشتاد الغنّاء نحو المركز الثقافي الذي كنت قد مررت به بعد الظهر، وراح أحدهم يشرح لنا عن سبب وجود كرة معدنية ضخمة متدلية من سقف المركز وهي ترمز إلى الأرض، وبسطت مساحة مستطيلة من الزجاج في أرض المركز تظهر مجموعة من الكرات ترمز أيضًا للأرض وتهدف إلى تعريف الأطفال الذين يزرون المركز إلى جغرافية البلدان من خلال إبرازها في كل كرة.

أوتوشتاد

في صباح اليوم التالي كنّا على موعد مع مغامرة اكتشاف منطقة أوتوشتاد التي تبلغ مساحتها ٢٩ هكتارًا وتضم صالات عرض بيع الفولكسفاغن ومتاحف ومراكز ثقافية. البداية كان في المركز الثقافي الذي يضم مجموعة مطاعم وأجنحة ترفيهية للأطفال وجناحًا يعرّف عن كيفية صناعة سيارة الفولكسفاغن بكل أنماطها، بدءًا من ابتكار التصميم، ثم تنفيذه.

كان الجناح مزدحمًا بمجموعات مختلفة من التلامذة الذين أتوا من أرجاء ألمانيا إضافة إلى فرق تلامذة أتت من البلاد المحيطة. في هذا المعرض يمكن للزائر تصميم السيارة التي يرغب فيها من خلال شاشات كمبيوتر معلقة على الجدران وما عليك سوى أن تلمس الباب الذي تريده وتصمم سيارة أحلامك ثم تسجل هذا التصميم باسمك وهذا ما فعلته، ثم مررنا بقسم كيف تصنع السيارة حيث يوجد مجسمات وُضعت في صندوق زجاجي يسمح برؤية اللمسات الأخيرة من صنع السيارة.

بعد ذلك توجّهنا إلى جناح تدريب الأطفال بين الخامسة والحادية عشرة على قيادة السيارات، حيث توجد مجموعة كبيرة من سيارات البيتل الصغيرة التي تناسب حجم الطفل، والهدف من هذا الجناح هو تعليم الطفل قوانين السير ومعاني الإشارات الموجودة على الطرقات، والقوانين الأولية لقيادة السيارة. بعد أن يتدرب الطفل على كل هذا يمنح إجازة قيادة، بالطبع لا يمكنه استخدامها ولكنها تؤكد أنه نجح في اختبار قيادة السيارة.

بعد المركز الثقافي توجهّنا إلى صالة سينما يضمّها معرض السيارات. أطفئت الأنوار وظهرت شاشة عملاقة رافق ظهورها حراك المقاعد التي نجلس عليها في كل الاتجاهات بحسب الصوت وحركة المشاهد، فتلاعبت الشاشة بوعينا وأوهمتنا خلال عشر دقائق بقيادة السيارة بأقصى سرعة، فكدنا نقع في شرك خديعة التكنولوجيا إلى أن توقفت المقاعد والسيارة الوهمية عند حدود واجهة الطبقة العشرين الزجاجية. خرجت من صالة السينما بعد تغلّب الخوف من الاصطدام والسقوط في الهاوية على وعييّ رغم أنني كنت مدركة أنها مجرّد لعبة أوهام. بعد لعبة الأوهام زرنا معرض السيارات لم أجرؤ، على ركوب المصعد البانورامي الذي يركبه عادة الزبائن لاختيار السيارة التي يريدون شراءها بل اكتفيت أن أراقب زملاء الرحلة وهم يخوضون التجربة.

في كلوب هاوس بوغارتي تحفة فنية تقف سيارة بوغارتي والتي تعكس إبداع المصمم بكل تفصيل فيها وقد صُنعت من الفضّة الخالصة، وهي ليست للبيع بل للعرض فقط. لا تنتهي الدهشة في عالم أوتوشتاد، ففي زيت هاوس وهو متحف يعرض جميع أنماط سيارة الفولكسفاغن منذ العام الأول لتصنيعها، تعرّفت إلى مبتكري سيارة رولس رايس، وفي الحكاية أن هنري رويس كان مهندسًا مولعًا بالسيارات وشارلز ستيوارت رولز وكان أيضًا مهندسًا التقيا عام ١٩٠٣ في مانشستير، وكان رولز في السابعة والعشرين بينما رويس في الحادية والأربعين، بفضل صديق مشترك لهما يدعى هنري إدموندز أدرك عبقرية المهندسين وأن في إمكانهما تأسيس شركة سيارات ممتازة وبعد أن تناول الأصدقاء الثلاثة الغداء، ركب رويس سيارة ١٠ HPبرفقة رولز الذي أعجب بهذه السيارة وأعلن أنها ما يحلم به، وفي معرض باريس أعلن عن إنشاء شركة رولز رويس وظهرت سيارة الرولز رويس للمرة الأولى عام ١٩٠٤.

كان المتحف يغص بالكبار والصغار، واللافت في كل جناح توجد منصة عليها مجسمات ميكانيكية يمكن القيام باختبارات عليها فمثلا استوقفتني المنصة الزجاجية حيث يمكن أن أحرّك مجسمات السيارات الصغيرة عبر تحريك مقبض الضوء. ومن ضمن الأجنحة الموجودة في المعرض معرض الصور بالأبيض والأسود، فتتجاور صور عارضات الأزياء بدءًا من عقود القرن العشرين الأولى حتى العقد السادس. كانت الصور رائعة وأصلية رغم أنها لم تتعرض لما يعرف اليوم بالفوتو شوب.

بعد الظهر كنت على موعد مع مغامرتين الأولى أوف رود درايفينغ والثانية سايفتي ترينينغ درايفينغ. يقع نادي مركز أوف داريفينغ تحت الجسر الذي عبرته يوم وصولي إلى فولفسبورغ، كانت الحماسة تملأني فركوب الجيب وتحدي الطرق الوعرة والصعود على الدرج أصبح حقيقة بالنسبة إليه وليس خدعًا سينمائية لفيلم آكشن. فقد علّمني المدرب كيف أتلاعب على الطريق وأفوز على تعرجاتها وتضاريسها المفاجئة ورمالها المتحركة. اجتزت المغامرة بكفاءة مما أثار إعجاب المدرب فقلت له: «عليك أن تقود على طرقات لبنان الجبلية عندها ستعرف من أين أتت مهاراتي».

انتهينا من المغامرة الأولى وتوجّهنا نحو مركز سايفتي ترينينغ درايفينغ، وهو المكان الذي على من يريد أن يحصل على إجازة سوق أن ينجح في اختبارات هذا المركز. وبعد أن أعطانا المدرب إرشادات كيفية التصرّف عند ظهور حواجز مفاجئة أو كوع خطر أو بقعة ماء أثناء القيادة بأقصى سرعة. طلب منّا تطبيق الإرشادات النظرية فعليًا، لا أنكر أنني خفت في البداية ولكن كنت أعرف أنني لن أؤذي نفسي وأن كل شيء مدروس فما علي إلا أن أطلق العنان لهوى السرعة وأسمح للأدرينالين أن يرتفع مستواه. فهذه المرّة السرعة ليست وهمية أو خدعة سينمائية بل مغامرة خطرة وواقعية أنا المتحكمة فيها

في الأمسية الأخيرة في فولفسبورغ كنت على موعد مع الرقص التعبيري لفرقة Deborah Colker Dance في مسرح كرافت فيرك KraftWerk. قطعنا جسرًا خشبيًا معلقًا فوق الماء قادنا إلى صالة كبيرة يبدو أنها في ما مضى كانت مصنعًا و لا أعرف كيف تحوّلت مسرحًا. كان بهو الانتظار مزدحمًا بالجمهور، وفجأة فرغ المكان عند الساعة الثامنة حين ولجت هذه الحشود إلى مدرجات المسرح. وعم صمت الإنسان وبدأ كلام الموسيقى يتصاعد شيئًا فشيئًا وظهرت على المسرح مجموعة شبان وشابات بدأن يتكلمن لغة الجسد الذي تحرّكه إيقاعات الموسيقى وهي تتلاعب مع الأضواء المتحركة وانعكاسات المرايا التي كانت جزءًا من العرض. انقطعت الأنفاس عندما أمسكت إحدى الراقصات خنجرًا تضرب به الطاولة أحيانًا وتهدد به أحيانًا أخرى. ولم أستعد أنفاسي إلا عندما انتهى العرض.

صباح اليوم الأخير أردت أن أتعرّف إلى الفندق الذي نزلت فيه، ويتألف من ١٧٥ غرفة وجناحًا، جاءت هندسته المعمارية تتناسب مع روح مجمع أوتوشتاد فقد طغت عليه البساطة والألوان التي تحاكي طبيعة المكان ليشعر النزيل بالراحة إلى أقصى حدود، فضلاً عند وجود مطاعم عدة إضافة إلى سبا، كما أن نزيل الفندق يستطيع أن يزور كل المراكز الترفيهية والثقافية التي يضمها المجمع مجانًا بمجرد أنه يعرض بطاقة مفتاح غرفته، أما نشاط الأوف رود فهو ليس من ضمن خدمات المجمع، ولكن الحجز عبر الفندق يكون أسرع.

لفتني أن التدخين ممنوع حتى في الأماكن المفتوحة في أوتوشتاد وحين سألت صابرينا عن السبب قالت لي إن بيئة نظيفة خالية من التلوّث هو ما تطمح إليه إدارة أوتوشتاد فضلاً أن هناك آلاف الأطفال والمراهقين يزورون المجمع يوميًا، وهم يدأبون على التحذير من الدخان، لذا قرروا عدم السماح حتى بالتدخين في متنزهات المجمع كي لا يرى التلامذة أعقاب السجائر مرمية فضلاً عن أنها تؤذي البيئة.

تركت فولفسبورغ بعد الظهر متوجهة نحو مطار هانوفر فتكررت المشاهد أمامي ولكن هذه المرة بسرعة وبالاتجاه المعاكس فأنا أخرج منها لا ألج في داخلها. ودّعت فولفسبورغ لأحلّق في متاهة الفضاء الكونية التي ترميني في كل مرة أدخلها بإرادتي في عالم مدن تشعل الأرض بجمالها.

لوكسمبورغ

البلد الصغير حاضن كل السحر الأوروبي

لوكسمبورغ. بلد صغير، بالكاد تلاحظه على الخريطة ، وغالبًا ما يختلط الأمر على الكثير منا فنظن أنه مقاطعة إما فرنسية أو ألمانية أو بلجيكية. ولعلّ عاصمته التي تحمل الاسم نفسه تزيدنا التباسًا خصوصًا أنها من أكثر المدن الأوروبية شهرة. ومهما يكن فإن لوكسمبورغ بلد يحمل في كل خطوة من مساحته الصغيرة التي لا تتعدى الـ 2586 كيلومترًا مربعًا كل التاريخ الأوروبي بأمجاده وانتكاساته وثقافته ولغاته. تقع لوكسمبورغ عند نقطة التقاء العالمين الروماني والجرماني و تعرف باسم جبل طارق في الشمال الأوروبي. تحيطها من الجهات الأربع فرنسا وألمانيا وبلجيكا.

لوكسمبورغ العاصمة

يطلق سكان لوكسمبورغ على عاصمتهم اسم الستاد نظرًا إلى أنها من أصغر العواصم الأوروبية من حيث المساحة وعدد السكان الذين يبلغون 80 ألف نسمة. ورغم أنها كوزموبوليتانية تجمع تحت فضائها اللغتين الألمانية والفرنسية ولغة هواها اللوكسمبورغية، فهي مدينة تحضن السحر الطبيعي المتآمر مع الفن المعماري، ليشكّلا معًا شخصية عاصمة لا تشبه ما هو معلوم عن عواصم العالم التي يقضم إيقاع الحياة السريع فيها العلاقات الإنسانية الحميمة.
تساهم الأعداد الكبيرة للغرباء الذين يعيشون في لوكسمبورغ في جعلها مدينة ديناميكية تضج بالحركة، لتكون عاصمة متعددة الثقافات والتقاليد. إنها مدينة روبرت شومان أحد مؤسسي الاتحاد الأوروبي، الذي بدأت خطوات تأسيسه عام 1950 من القرن الماضي.

أسس لوكسمبورغ عام 963 الكونت سيجيفور حين بنى قصرًا على صخرة بوك. وهكذا ظهر للمرة الأولى اسم «لوسيلينبورهوك» Lucilinburhuc أو القصر الصغير.
يقال عن لوكسمبورغ إنها مدينة الجسور، إذ تضم 110 جسور تخترق أودية وأخوارًا تنساب مياهها بين أحياء المدينة. يدعوك وسطها إلى اكتشاف وجوه المدينة الثقافية التي تزينها مساحات خضراء تمتد من وادي بيتروس والمتنزهات العامة لتوفر أوقاتًا من الاسترخاء الطبيعي والثقافي.تقسم لوكسمبورغ قسمين: المدينة العليا وتنبسط على سفح صخري يقف عليه قصر غراند دوكال بواجهته الفريدة التي تعكس فن عصر النهضة الأسباني، تجاوره كاتدرائية نوتر دام التي تعود إلى القرن السابع عشر وتنتشر حولهما البيوت العتيقة التي تحتفظ بالطابع الخاص للمدينة. يسوّر المدينة العليا جنوبًا وادي بيتروس وغربًا وشمالا وادي آلزيت حيث تقبع ثلاث مدن وهي غروند وكلوزن وبفافينتال.

يسمح صغر مساحة لوكسمبورغ بالتجوال فيها سيرًا على القدمين وكأنها ترغب في أن تجعل حواسك متأهبة لإدراك كل ما تحتضنه من سحر طبيعي. فمن وسط المدينة تتابع مسارك في شارع فينزل Wenzel لتصل إلى سفح رام حيث يوجد برج جاكوب الذي كان بوابة المدينة عام 1590 تجاوره ثكنات عسكرية تعود إلى عهد فوبان، ترميك فجأة وسط عالم العصور الوسطى في حي غروند الفريد من نوعه ببيوته التي تعكس نمط الهندسة المعمارية لتلك العصور وهي تستريح عند حدود وادي آلزيت.
ومن عالم التاريخ الوسيط وعصر النهضة تنتقل إلى منطقة كيرش بيرغ في الشمال الشرقي حيث تراقب قلعة تونغين Thungen التاريخية مبان ثقافية ومراكز مالية وإدارية، يغلب على هندستها المعمارية النمط العصري متناغمًا مع الهندسة المعمارية النيوكلاسيكية للمباني القديمة.
تعكس لوكسمبورغ ملتقى الثقافة الفرنسية والألمانية بكل وجوهها، حتى المطبخ اللوكسمبورغي يجمع بين هاتين الثقافتين بطريقة فريدة. فمقاهي لوكسمبورغ لا سيما تلك المنتشرة في المناطق العتيقة تفوح بما لذّ وطاب من الأطباق التي يقول عنها اللوكسمبورغيون «النوعية فرنسية والكمية ألمانية».

تشتهر لوكسمبورغ بأنها من أغنى المدن الأوروبية. فنمط الحياة فيها واحتضانها لنخبة المجتمع الأوروبي بكل أعراقه جعلاها مدينة التسوّق بامتياز. ففي المدينة العتيقة حيث يمكن أن تصول وتجول فيها على قدميك من دون أن تشعر بالتعب، تدعوك البوتيكات إلى إشباع نهمك في التسوق من أشهر دور الأزياء العالمية بأسعار مقبولة مقارنة بغيرها من المدن الأوروبية المشهورة بأنها عواصم الموضة، فضلا عن متاجر التذكارات والتحف وأكسسوار البيوت.

لا تكتفي لوكسمبورغ بإشباع المعدة ونهم التسوّق بل تأخذك إلى عالم فني فريد، فهي مدينة تشتهر بالحفلات الموسيقية والمسارح والفن التشكيلي. كل هذا يجعل زائر العاصمة الصغيرة يشعر بأنه مدينة افتراضية لا تجد قرينة لها إلا في عالم الخيال.

بون مدينة بيتهوفن

حيث الحداثة تولد من رحم التاريخ

كانت بون عاصمة الجمهورية الألمانية الفيدرالية عام ١٩٤٩ بعد مؤتمر يالطا الذي عقد في جزيرة يالطا عام ١٩٤٥ حين اجتمع قادة الحرب العالمية الثانية روزفلت وتشرشل وستالين، وقسموا العالم قسمين، ووضعوا خريطة عالم القرن العشرين.

تخلت بون عن موقعها كعاصمة لبرلين عام ١٩٩٠ التي عادت عاصمة لألمانيا بعد سقوط جدار برلين في تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٨٩ على وقع أغنية بينك فلويد Another Brick in the wall «أجرة أخرى في الجدار ». وبسقوط الجدار عادت الخريطة الألمانية إلى سيرتها الأولى، وتغيرت معها خريطة عالم القرن الحادي والعشرين.

في القطار نحو بون

كانت رحلتي إلى بون تشبه رحلة وسط متاهة طبيعية يستحيل عليّ الخروج منها، ليصبح التيه بين أروقتها وكأنه فعل لاإرادي يجرّني إلى عالم جميل في قطار ينساب على شبكة عنكبوتية تخترق سحراً فريداً تحضنه الغابة السوداء.

بدأت الرحلة وكانت المقصورة خالية فجلست في مقعدي إلى جانب الشباك أنظر إلى المشاهد التي بدأت تنهال على ذاكرتي بسرعة البرق: ريف أخضر تنبثق منه بيوت قرميدية تتناغم مع كروم العنب المتدحرجة على الروابي.
وصلنا إلى بون وكانت حركة الشوارع في بون خجولة عند الساعة التاسعة مساءً.

على ضفة نهر الراين

في الصباح التالي، شربت قهوتي على الشرفة ورحت أتأمل نهر الراين الذي يشطر بون ضفتين.

إنني في بون المدينة التي ولد فيها عظماء التاريخ ومنهم لودفيك بيتهوفن الذي سحر العالم بموسيقاه رغم الصمم الذي اكتسح أذنيه فقد كانت عبقريته أقوى من العجز الجسدي.

وفي جامعة بون راينيش فريدريش فايلهلمز درّس كارل ماركس الذي غيّرت فلسفته مجرى تاريخ العالم وقسمته رأسمالياً وشيوعياً، أما فريدريك نيتشيه مؤلف «هكذا تكلم زرادشت » صاحب مذهب إرادة القوّة فقد درس في الجامعة نفسها الفلسفة واللاهوت.

كل هؤلاء وغيرهم حضنتهم هذه المدينة الجميلة التي تبدو علاقتها بالتاريخ كجدل ماركس وإرادة القوة عند نيتشه وسمفونيات بيتهوفن.

رحلة التعرف إلى المدينة

مشاهد فرانكفورت وبادن بادن تتكرر أمامي، الأبنية ذات النمط النيوقطي تجاورها الأبنية الحديثة والأشجار الوارفة تنتشر في وسط الطريق الاسفلتي وطرفيه، تتفرع منه شبكة طرق فرعية مرصوفة وكأنما الحداثة ولدت من رحم التاريخ.

اللافت في الشوارع الداخلية في بون أنها ضيّقة و قديمة جداً ومرصوفة بالحجارة، وفي الوقت نفسه ذات اتجاهين مما يضطر أصحاب السيارات في الاتجاهين لانتظار بعضهم للعبور فلا تجدهم يتذمرون أو يتأففون بل يشكرون بعضهم، وكأن التكافل الاجتماعي يطبق هنا حتى على قوانين السير!

كان وسط المدينة التجاري مكتظاً بالمشاة والموسيقيين الذي يعزفون آملين أن تسقط في الدلو الذي يضعونه أمامهم بعض النقود. هنا فردوس التسوّق بكل أنواعه، إذ تتجاور البوتيكات التي تعرض لأهم دور الأزياء وسلسلة البوتيكات المنتشرة في معظم أنحاء العالم.

متحف بيتهوفن

تحول المنزل الذي ولد فيه بيتهوفن إلى متحف ويحتوي على سماعاته والبيانو الذي كان يعزف ويؤلف عليه موسيقاه وقد تُركا في الوضعية التي كانا عليها في حياة بيتهوفن، كما تعرض في هذا المتحف الأشياء التي كان يستعملها في يومياته مثل نظاراته والريشة التي كان يكتب بها والمحبرة، وعُلقت على الجدران رسوم تروي كيف أصيب بالصمم.

تركنا متحف بيتهوفن وأكملنا مشوارنا ووصلنا إلى ساحة مونستربلاتزيه التي تتحلق حولها المقاهي عند أقدام أبنية قديمة تحضن كل بهاء الهندسة المعمارية الألمانية بقرميدها وواجهتها الخشبية وشرفاتها التي تتدلى منها أصص الزهور، تراقب مجسم بيتهوفن العملاق الذي يتوسط الساحة وتصدح موسيقاه في المكان.

قررنا الجلوس في أحد المقاهي وتناول القهوة على وقع أنغام هذا الموسيقي. كان الليل قد أسدل ستاره ورغم ذلك كان الوسط التجاري مزدحماً. تركنا زحمة الوسط وعدنا أدراجنا.

إلى ضفة الراين عبر الدراجة الهوائية

في اليوم التالي قررنا الذهاب إلى ضفة الراين عبر الدراجة الهوائية. هنا في ألمانيا اقتناء دراجة هوائية من الأمور الأساسية التي لا يُستغنى عنها، إذ يمكن أن تستغني عن السيارة، ولكن الدراجة لا، لذا تجدها في موقف كل منزل قررنا التنزه على ضفاف الراين عبر الدراجة الهوائية.

في البداية لفتني زحمة السير ولا أحد يطلق بوق سيارته فسألت إلى أين تتوجه هذه السيارات ولا يوجد سوى النهر، فعلمت إنهم بانتظار العبّارة التي تقل السيارات والركاب إلى الضفة الثانية.
توجهنا نحو رصيف خاص لركوب الدراجة يمتد على طول النهر وتنطبق عليه قوانين السير.
لم نكن وحدنا من يمارس ركوب الدراجة، فعلى امتداد الرصيف تلتقي ركاباً كبار السن وشباباً وموظفين منهم من كان يرتدي بذلة رسمية ويبدو أنهم عائدون من أعمالهم. أما الرصيف المرتفع فيبدو أنه مخصص لهواة الركض، وكانوا من أعمار مختلفة.

كاتدرائية كولن

نزلنا في المحطة والتي فيها سوق مغلقة تضم متاجر ومقاهي، اخترقناها إلى أن انبثقت أمامنا كاتدرائية كولن الأشهر في أوروبا والتي أخذت مظهرها الأخير في القرن التاسع عشر. الوقوف أمام ساحتها الخارجية فيه من الرهبة، لم أستطع أن أخفي دهشتي بارتفاعها الذي يبلغ ١٥٧ متراً مما جعلها ثالث كاتدرائية في أوروبا من حيث الارتفاع، وبالهندسة المعمارية القوطية التي تعكس شغف الفن. ولا بد أن تسأل كيف استطاعوا في ذاك القرن أن يشيّدوا بناء شاهقاً كهذا؟ وكيف استطاعوا أن ينحتوا على قببها وواجهاتها الخارجية كل هذه الروائع؟

تتحلق في ساحة الكاتدرائية المقاهي وتضج بالفنانين، فهنا موسيقي يعزف على غيتاره أنغام الروك أند رول، وآخر يعزف على الكمان موسيقى كلاسيكية كأنني وسط كرنفال.
لفتني ثلاثة ممثلين إيمائيين الأول يرتدي لباساً فرعونياً وقد طلى وجهه باللون الفضي، والثاني تنكّر بزي عملاق والثالث يرتدي زي دوق طلى وجهه بالأبيض. اقترب مني صاحب الوجه الأبيض الذي اختفت كل معالمه ما عدا عينيه الزرقاوين اللتين جعلتاني أشعر بالخوف...
ترددت في البداية ولكن قلت في نفسي لمَ الخوف والساحة تضج بالناس.
توجهنا نحو السوق كان السوق يعج بالمتسوقين والناس العائدين من أعمالهم وكذلك التلامذة.

تكرر مشهد السوق أمامي كما في فرانكفورت وبادن- بادن الوجوه نفسها والنمط المعماري نفسه ورغبة الاحتفال بالحياة هي نفسها.

هناك أيضاً الكاتدرائية القديمة التي بدت ي أنها تحدق إلى العصر بكل أشكاله وسلوكه الإنساني. كل شيء في ألمانيا يروي تاريخاً وحداثة في آن واحد.

في صباح اليوم وفي طريقي إلى محطة القطار المتوجه إلى فرانكفورت ، بدت لي البيوت الجميلة المندسة في الروابي المتدحرجة على ضفتي هر الراين لوحة انفلتت منها الأبعاد الأربعة وتركت العنان لغابة السوداء ترسم ألوانها وتزخرف جمالها.

وصلنا إلى مطار فرانكفورت وكان المحطة الأخيرة لنهاية أيام جميلة أمضيتها في حضن العالم الألماني.
شعرت الغصة وعدت إلى التحليق في متاهة الفضاء الكونية التي ترميني في كل مرة أحلّق فيها في عالم مدن تشعل الأرض بجمالها. ودّعت ألمانيا وغاباتها ونهريها الراين والماين. إنهما نهرا الزمن للذان يحفظان في أعماقهما كل أسرار أوروبا وأخبار ناسها وتاريخها.

بادن - بادن بلدة افتراضية ألمانية

في أحضان الغابات السوداء

رحلت عن فرانكفورت وأنا أحدّق إلى جسورها وأبنيتها محاولة أن أغرس في ذاكرتي صوراً لبهائها. اتجهت بنا الحافلة نحو الطريق السريع أو كما يقال بالألمانية «أوتو بان»، إلى بادن-بادن محطتي الثانية في بلاد الجرمان.
عرفت الطريق كيف تجعلني أحرق الوقت وأنسى المسافات، بالتأمل في الجمال المتناثر على طول طرفيها والذي تشكّل بألوان الشجر المتدرجة من الأصفر الخريفي الشاحب إلى الأخضر القاني والتي يعجز أعظم المبدعين عن اختراع مزيج يشبهها. أما السائق فكان يجيب عن أسئلتنا بإنكليزية تتعثر بكلمات ألمانية ولكنه تمكن من إيصال المعنى.